

---

---

**السيرة الذاتية في الرواية العبرية المعاصرة**  
**دراسة لرواية " بين مخالب القدر" للأديبة رحيل**  
**سيدوف مزراحي**

---

---

د. إبراهيم نصر الدين عبد الجواد دبيكي  
أستاذ مساعد بقسم اللغات الحديثة والترجمة  
كلية اللغات والترجمة جامعة الملك سعود

## المقدمة:

يتناول البحث دراسة جنس أدبي متميز ظهر في الرواية العبرية المعاصرة وهو السيرة الذاتية. هذا الجنس الأدبي المعقد شديد الميوعة كثير التنوع، وذلك لسببين هما:

- قربه من أجناس أخرى مثل اليوميات والمذكرات والرسائل، والشهادات، والحوارات الشخصية. واقتراضه بعض آليات عمل تلك الأنواع، أو نظمها الداخلية، وأشكالها التي تأثرت بالسيرة الذاتية.
- القواعد التي تخضع لها كتابة السيرة الذاتية، وما ينتج عنها من أحكام وتقييم الكاتب لما يقدمه من خلال رواية السيرة الذاتية، كالسرد بضمير الغائب، أو اللجوء إلى التعديل والحذف.

وبالنسبة لمصطلح السيرة الذاتية، فتجدر الإشارة إلى أن قضية تحديد المصطلح في أي حقل معرفي ضرورة معرفية، وخطوة منهجية أساسية يتوقف عليها فهم واستيعاب القضايا التي يتناولها هذا الحقل بالدرس والتحليل. واختيار المصطلح النموذج والتمييز بينه وبين غيره من المصطلحات المرادفة أو المتداخلة معه، يعتبر أمراً هاماً على المستوى المنهجي العام. "وتتجلى هذه الأهمية فيما يمكن أن يقدمه التحديد المنهجي من إزالة الخلط والالتباس لأن كثرة المصطلحات وتنوعها في الغالب كثرة غير منتجة معرفياً، فلا يفصل

---

\*\*نشكر القائمين على مركز بحوث كلية اللغات والترجمة عمادة البحث العلمي جامعة الملك سعود على تفضلهم بدعم هذا البحث مالياً.

مصطلحاً عن آخر سوى معنى لغوي معجمي لا يفيد شيئاً في التمييز  
المعرفي والحكمي.<sup>١</sup>

وفيما يتعلق بتدوين تاريخ حياة فرد ما، تمدنا الكتابات العبرية القديمة  
بمصطلحات عديدة منها: السير، والتراجم، والمناقب وغيرها. كما تستعمل في  
الدراسات الحديثة المصطلحات المركبة التالية: السيرة الذاتية، والسيرة الشخصية  
والترجمة الذاتية، والترجمة الشخصية والترجمة الفردية، هذا بالإضافة إلى  
توظيف المصطلحين الغربيين: أوتوبوجرافيا وبيوجرافيا.

ولعل هذا التعدد هو الذي نجم عنه الالتباس الذي ارتبط بمفهوم هذا النمط  
من الكتابة. لأن تحديدها الفني غير وارد في كتب التراث ولا نجد غير  
التعاريف المعجمية المقتضبة للمصطلحين: ترجمة وسيرة. فكلمة سيرة تعني:  
السنة والطريقة والمذهب والهيئة وسيرة رجل: صحيفة أعماله وكيفية سلوكه بين  
الناس. وفي الأدب أن يدون أحد الكتاب تفاصيل حياته.<sup>٢</sup>

ولا شك أن البحث في أدب السيرة الذاتية، بحث شائك، ومربك، ويدخل  
الباحث في حيرة، ويحيطه بدائرة من الأسئلة المتوالية، حول إجناسيته، ونشأته،  
وتحديد مفاهيمه، وحدوده وقوانينه، شأنه شأن أي جنس أدبي جديد.

---

١ وهبي، فاضل: حقل المعاني عند البلاغيين المتأخرين، مجلة الفكر العربي، ع 46 يونيو

1978. ١ لعام الثامن - ص 40

٢ أولحاج، محمد: بيداغوجيا تحليل الخطاب، السيرة الذاتية المكونات والروافد\_ مكتبة السلام

الجديدة - الدار البيضاء - الطبعة الأولى 2006 - ص 15

بل لعل السؤال الأكبر الذي يطرح نفسه بقوة أمام الباحث هو: هل استطاع هذا الشكل السردى أن يبنى استقلاليته الخاصة؟ مجتراحاً خصائص ولغة وأسلوباً فنياً يميزه عن الفن الأكثر اتساعاً الرواية؟ أم أنه شكل من أشكال السرد الروائى يفترق عنه بسمات محددة وهي الصلة الوثيقة بين المؤلف والسارد والشخصية.<sup>١</sup>

إن أدب السيرة الذاتية هو جنس أدبي جديد، يحاول أن يقترب من الذات أكثر من الأجناس الأدبية الأخرى، وإن استفاد من تقنياتها الفنية، فهو أدب ملتصق بالذات، بل هو نزيه الذات في تاريخ ذاتها. ولعل إمعان الأدباء والمفكرين والمؤرخين وغيرهم في الكتابة ما هو إلا دليل على سعيهم الدائب إلى الإمساك بحقيقة وجوه ذاتهم، خاصة إذا ما علمنا أن الباعث على كتابة السيرة الذاتية كثيراً ما تتم تلبيته في عمل أدبي آخر بأهمية متميزة لدى الكاتب.<sup>٢</sup>

لقد تنوعت التعريفات وتعددت المصطلحات للدلالة على مفهوم السيرة الذاتية بمتراصفاته المتعددة التي تدور جميعاً حول مفهوم أساسى واحد هو تاريخ الحياة الفردية.

والمنتبغ لهذا الجنس الأدبى يلحظ تقدماً فى مناهج البحث وفى الوقت نفسه صعوبة فى السيطرة على الموضوع. والملاحظ أن مختلف التعريفات التى

---

١ إدلبى، بهيجة مصري و الديك، عامر: السيرة الذاتية فى الخطاب الروائى العربى - مؤسسة

الوراق للنشر والتوزيع - عمان - الطبعة الأولى 2011 - ص 8

٢ المرجع السابق ص 12

أسندت إلى السيرة الذاتية، إنما كانت لتلبية ضرورات منهجية، تسعف الباحث على تحديد زوايا ومناطق بحثه، أكثر مما سهلت إمكانية صياغة تعريف معياري يصير قاعدة لتناول السيرة الذاتية.<sup>1</sup>

ومن المعروف تاريخياً أن مصطلح السيرة الذاتية حديث النشأة، ويكاد يتفق مؤرخو السيرة الذاتية على أنه نشأ في أوروبا وأنه ينتمي إلى الثقافة الغربية،<sup>2</sup> يذكر جورج ماي أن بداية السيرة الذاتية كانت في نهاية القرن الثامن عشر استناداً إلى نشر "اعترافات" جان جاك روسو (1712-1778) بعد وفاته الذي شكل نقطة انطلاق وإعلان عن استقلال السيرة الذاتية ككيان أدبي.<sup>3</sup> وإذا كان المؤرخون ونقاد الأدب الغربيون، مثل فيليب لوجون، يقرّون بأن السيرة الذاتية هي لون من الألوان الإبداعية الخاصة بالثقافة الغربية، فإنه مع أواسط القرن العشرين تغيّرت هذه الفكرة في النقد الأدبي الغربي، ولم تعد السيرة الذاتية حكراً على الحضارة الغربية دون غيرها.

والتعريف الأكثر شهرة لسيرة الذاتية هو التعريف الذي وضعه الناقد الفرنسي فيليب لوجون؛ بأنها "حكي استرجاعي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده

---

١ الشاوي، عبد القادر: الكتابة والوجود: السيرة الذاتية في المغرب - الدار البيضاء بيروت 2000 ص 15

٢ التميمي، أمل: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب الطبعة الأولى 2005 ص 29

٣ ماي، جورج: السيرة الذاتية - تعريب: محمد القاضي - عبد الله صولة - المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة - قرطاج 1992 - ص 28

الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته ، بصفه خاصة.<sup>١</sup>

وترجع أهمية الدراسة إلى:

١ - سبر أغوار تيار السيرة الذاتية الذي بدأ في السطوع في الآونة الأخيرة، باعتباره أحد العلامات البارزة في التغيير الذي طرأ على الحقل الأدبي الإسرائيلي.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود دراسات سابقة حول تيار السيرة الذاتية في الأدب العبري وهي دراسة بعنوان " بين الأدب والتاريخ دراسة في سيرة بغداد بالأمس" للدكتور جمال أحمد الرفاعي، صدرت عن مجلة الدراسات الشرقية العدد الثامن والثلاثون يناير 2007. ورسالة ماجستير في كلية الألسن جامعة عين شمس عن أدب السيرة الذاتية عند عاموس عوز في رواية " قصة عن الحب والظلام". ورسالة ماجستير في جامعة المنوفية عن الأدبية رونيت مطالون. وأخيراً قصيدة السيرة الذاتية في الشعر العبري الحديث للدكتور جمال الشاذلي.

2- لم تتم دراسة شخصية الأدبية رحيل سيدوف مزراحي، وانحصر ما كُتب عنها في بعض المقالات التحليلية العبرية عن أعمالها.

سوف يتبع الباحث المنهج التحليلي في الدراسة من خلال تحليل الرواية موضوع الدراسة من الجانبين الموضوعي والفني، وذلك لمعرفة القواعد والأسس التي سارت عليها الكاتبة.

لذا سوف تدور محاور البحث في النقاط التالية:

- 1- السيرة الذاتية في الأدب العبري بإيجاز وأبرز الأدباء العبريين في هذا المجال.
- 2- السيرة الذاتية في الأدب العبري المعاصر.

---

١ لوجون، فيليب : السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي - ترجمة وتقديم عمر حلي، الطبعة الأولى - المغرب - المركز الثقافي العربي - 1994 - ص22

3-رواية " بين مخالب القدر " للأديبة رحيل سيدوف مزراحي. دراسة تحليلية.

4- رواية " بين مخالب القدر " للأديبة رحيل سيدوف مزراحي. دراسة فنية اجتماعية.

### السيرة الذاتية אוטוביוגרפיה في الأدب العبري

لم يختلف نقاد الأدب العبري عن غيرهم من نقاد الأدب العالمي حول مفهوم السيرة الذاتية، فهم يرون أن السيرة الذاتية هي تصوير حياة صاحبها بعد فترة زمنية، من خلال وجهة نظر شخصية. كما أن السيرة الذاتية كانت شائعة جداً في فترات الحركات الدينية، والاجتماعية والأزمات الروحانية ( مثل "الاعترافات" للقديس أغسطينوس المقدسي، وهي السيرة الذاتية الأولى في تاريخ الأدب، وكذلك "اعترافات" جان جاك روسو، والسيرة الذاتية لبيتر كروبوتكين<sup>١</sup> الخ).

ويرى الناقد الإسرائيلي عزرائيل أوكمانى أن السيرة الذاتية تستخدم على أنها مصدر هام جداً للتعرف على حياة الكاتب ومصادر إبداعه. وأحياناً تكتب السيرة الذاتية بغرض الدفاع والتبرير ( كما في سيرة " حياة يوسف بن متتياهو" وغيرها). وبشكل عام تكتب السيرة الذاتية بشكل نثري.<sup>٢</sup> كما أنه من الممكن أن تكتب قصة السيرة الذاتية وفقاً للنموذج غير الأدبي مثل اليوميات أو تبادل الخطابات.

١ بيوتر كروبوتكين أو بيتر كروبوتكين ( 1842-1921)، جغرافي روسي، كان من أوائل

المنظرين للحركة التحررية (الأناركية أو اللاسلطوية). انظر: <http://he.wikipedia>.

٢ أوكمانى، عزرائيل: تכנים וצורות - לקסיקון מונחים ספרותיים - כך ראשון: א - ל - תל

אביב: ספרית פועלים، 1978 עמ' 19

وفي قصة السيرة الذاتية يوجد في الغالب شخصية واحدة ووحيدة في بؤرة العمل، وتحاط هذه الشخصية بشخصيات هامشية، تستخدمها الشخصية المركزية كمساعدين أو أنها تضع العراقيل في طريق الشخصية المركزية، منذ بداية هذه الشخصية وحتى وفاتها. وتقيم هذه الشخصية في الغالب علاقات متبادلة نشطة مع بيئتها الاجتماعية والتاريخية. ومن أمثلة هذا التيار في الأدب العبري القديم " سفر نحما" <sup>١</sup>، أما في الأدب العبري الحديث، فنجد أنها بدأت عند يوسف حايم برينر <sup>٢</sup> في روايته "בחורף" " في الشتاء" عام 1904، و " חיי אדם" " حياة إنسان" لشالوم عليخ <sup>٣</sup> عام 1914، وقصة "פרקי החיים" " فصول الحياة" لحايم نحمان بياليك <sup>١</sup>

---

١ عبد السلام، سعيد: دراسة معجمية لمصطلحات الأدب عبري عربي - القاهرة - 1997 - ص 11

٢ يوسف حايم برينر ولد في أوكرانيا عام 1881، ويعد من أبرز أدباء الهجرة الثانية ( 1903 - 1914) تأثر بأفكار تولستوي الاشتراكية. هاجر إلى فلسطين عام 1909 وعمل سكرتيراً لحركة "أحباء صهيون" ومن أبرز أعماله " בחורף" " في الشتاء" و "שכול וכשלון" " التكل والفشل"، وتوفي عام 1921. انظر: سالم، نجلاء رأفت والشاذلي، جمال عبد السميع: الشعر العبري الحديث مراحل وقضاياها - الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة 2010 - ص 264.

٣ شالوم عليخ ( 1859 - 1916) هو الاسم الأدبي للأديب شالوم (بن ناحوم) ريبينوفيتس وهو أديب يهودي ولد في أوكرانيا، وتلقى تعليماً دينياً، ماتت أمه وهو في الثالثة عشر وعانى من زوجة أبيه. وكتب محاولته الأدبية الأولى وهو في السابعة عشر، أنهى تعليمه عام 1876 وعمل بالتدريس. ويعد من الأدباء الذين رسموا صورة الأدب البيديشي، وهناك طابع خاص في أسلوبه. وتوفي في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن أهم أعماله " טוביה החולב" " طوبيا الحالب" و "מנחם מנדל" " مناحم مندل". انظر: : جرشون شاكيد: الأدب النثري العبري 1880 - 1980 الجزء الأول في شرق أوروبا - ترجمة وتعليق د. إبراهيم نصر



عام 1944، وقصة " התועה בדרכי החיים " "التائه في دروب الحياة " لبييرتس سمولنسكين<sup>٢</sup> عام 1944، وقصة "פרקי וודרופר" فصول رودروفر "لأشير براش"<sup>٣</sup> عام 1953، ورواية "החיים כמשל" "الحياة كمثال" لبنحاس ساديه<sup>٤</sup> عام 1958.<sup>٥</sup>

---

الدين عبد الجواد - مراجعة د. رشاد عبد الله الشامي - دار الكتب الجامعية للطباعة والنشر - شبين الكوم - الطبعة الأولى 2007 - ص 524

١ حاييم نعمان بيباليك ( 1873 - 1934 ) من كبار الشعراء العبريين في العصر الحديث، وهو كاتب مقال وأديب ومترجم ومحرر. وقد أطلق عليه الناقد الإسرائيلي باروخ كورتسفييل لقب " الشاعر القومي " ومن أهم أعماله "אל הצפור " " إلى العصفور "، و "מתי המדבר האחרים" " موتى الصحراء الآخرين " .. انظر: سالم، نجلاء رأفت والشاذلي، جمال عبد السميع - مرجع سبق ذكره - ص 263

٢ بيرتس سملنسكين ( 1842 - 1885 ) أديب عبري من أعضاء حركة الهسكللاه، ومن أهم أعماله "קבורת חמור" "دفنة حمار". انظر: المرجع السابق - ص 263

٣ آشير براش ( 1889 - 1952 ) أديب وشاعر عبري. ولد في جاليسيا الشرقية، تلقى تعليمًا ينيًا وعامًا باللغة البولندية والألمانية. سافر إلى لافوف وهو في السادسة عشر حيث تعرف على "برينر" و "شوفمان" اللذان شجعا على الكتابة الأدبية. صدرت قصته الأولى في مجلة "השילוח" "هشيلواح" عام 1909. وفي عام 1914 هاجر إلى فلسطين. وعمل كمدرس في مدرسة " هرتسليا " الثانوية. من أهم أعماله " תמול " "أمس"، و "אהבה זרה" و "حب غريب" والتي فاز بعد كتابتها بجائزة بيباليك عام 1939. انظر: جرشون شاكيد: الأدب النثري العبري 1880 - 1980 - مرجع سبق ذكره ص 513

٤ بنحاس ساديه ( 1929 - 1994 ) أديب وشاعر ومترجم، ولد في لافوف بجاليسيا، هاجر إلى فلسطين منذ طفولته، ومن أهم أعماله " בית דין " " المحكمة ". انظر: المرجع السابق ص 522

٥ أبون، يوسف: ميلون مונחי הסיפורת - הוצ' אקדמון - ירושלים - 1978 - עמ' 27

### السيرة الذاتية אוטוביוגרפיה في الأدب العبري المعاصر

إن ما يتميز به الأدب العبري المعاصر، بشكل أساسي، في العقدين الأخيرين، وجود تيار أدبي آخذ في التطور والصعود السريع، وهو تيار السيرة الذاتية. الذي تحتل فيه "الآنا" مكان الصدارة. وتضم التقاليد العامة لأدب السيرة الذاتية طرفي نقيض، في أحد هذه الأطراف توجد السيرة الذاتية التي تتطلع إلى الاعتراف والابح وتعرى الأجهزة النفسية وقصص الحياة الواقعية، وفي الطرف الثاني نجد الحديث عن مجريات الحياة العامة.

لقد تميز هذا الأدب بالعودة إلى جيل الأجداد وبالخروج من ثل أبيب والقدس إلى غيرها من الأماكن الأخرى في فلسطين، وذلك من خلال أدباء يحاولون إعادة تحديد هوية مجتمعهم. إن تناول الحديث عن بنية ما بين الأجيال أصبح هو المشهد الأساسي في الثقافة الإسرائيلية الحالية، بفروعها المختلفة ولدى كل القطاعات: في الكيبوتس في الصهيونية الدينية القومية، ووسط الشرقيين، وكذلك لدى أحفاد الجيل الأول الذين يبحثون عن الجذور من خلال الأدب الذي يهتم بـ "الآنا".<sup>1</sup> كما في أعمال: أريئيل هيرشفلد<sup>2</sup> "רישומים של התגלות" "سجلات الوحي"

١ فديا، حبيבה: سפרות במסע אחרי זהויותיה - הארץ - 9 - 5 - 2006

٢ أريئيل هيرشفلد (1953 - ) باحث في الأدب والثقافة الإسرائيلية، درس الأدب العبري في الجامعة العبرية في القدس وحصل على درجة الدكتوراه في الأدب العبري عام 1995 ويعمل حالياً رئيس قسم الأدب العبري في الجامعة العبرية. انظر:

<http://he.wikipedia.org/>

عن دار النشر حرجول عام 2006، ودوف البيوم<sup>١</sup> في قصته "مسע בחלל הפנוי"  
"رحلة في الفضاء الخالي" عن دار النشر عم عوفد 2007.<sup>٢</sup>  
وفي الأدب النثري كذلك، الذي احتل مكانة مرموقة، والذي يمكن أن نطلق  
عليه أنه هو المسيطر. ظهر رد فعل لهذا التيار، حيث حدث تحرك بطيء من  
"الذات" المكبوتة إلى "الذات" المكشوفة المباشرة. ويمكن تلمس هذه الحركة من  
خلال تطور إبداع حاييم بيئر<sup>٣</sup> على سبيل المثال في روايته "חבליים" "الحبال" عام  
1998، وكذلك قصة عاموس عوز<sup>٤</sup> "סיפור על אהבה וחושך" "قصة  
عن الحب والظلام" عام 2002.

- 
- ١ دوف البيوم: (1973 - ) أديب ومحرر وصحفي ومحاضر في الفلسفة اليهودية. انظر:  
<http://he.wikipedia.org/wiki>
- ٢ فديا، حبيبا: سפרות במסע אחרי זהויותיה - הארץ - 7 - 1 - 2008
- ٣ حاييم بيئر: (1945 - ) ولد في القدس وأبيه إفراهم رخلفسكي ولد وترى في روسيا ثم  
هاجر إلى فلسطين. ولقن ابنه تعليماً دينياً، ومن أهم أعمال بيئر رواية 'נוצות' عام 1979  
و'חבליים' عام 1998 وهما ينتميان إلى تيار السيرة الذاتية حيث صور بيئر من  
خلالهما طفولته. انظر: <http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon>
- ٤ عاموس عوز: (1939 - ) أديب إسرائيلي ومن أبرز كتاب الأدب العبري في العصر  
الحالي.  
وعاموس عوز هو عاموس كلاوزنر ابن لعائلة من المثقفين الإصلاحيين وعم أبيه هو يوسف  
كلاوزنر، رئيس قسم الأدب العبري في الجامعة العبرية. انظر:  
שקד, גרשון: הסיפורת העברית 1880-1980, ה', ה', הוצ' הקיבוץ המאוחד, כתר,  
ירושלים, 1998, עמ' 205
-

وتحركات الذات المباشرة والمكتشفة للاعتراف والسيرة الذاتية، بين أماكن واقعية جداً، كما في قصة يوسي سوكري<sup>١</sup> "أميلىه وملاح הארץ" "וידוי" "إميليا وملح الأرض" "اعتراف" عام 2002. ونجد هنا مصطلح "اعتراف" يستخدم في عنوان القصة. إن أدب الاعتراف يؤكد بشكل بارز على الحركة بين مكانين في أساسهما هما أماكن "الذات" و "الذكريات"، وكذلك قصة ساسون سوميخ<sup>٢</sup> "בגדאד אתמול" "بغداد بالأمس" عام 2004 وفي مقابل ذلك نجد نوعاً يارون-ديان<sup>٣</sup> في قصتها "מקימי" "مكيمي" عام 2007 تحاول دمج سيرتها الذاتية داخل بنية روائية.<sup>٤</sup>

ويرى مؤرخو الأدب العبري الحديث أن كتابة السيرة الذاتية نابعة من التقاليد الفلسفية الخاصة بالعالم الغربي، التي نادى بالتأمل والبحث في الذات، وبالفلسفة التجريبية والفرديّة، كل ذلك بهدف الوصول إلى الحقيقة.<sup>٥</sup> ولكن مصطلح السيرة

١ يوسي سوكري: ( 1959 - ) أديب إسرائيلي، درس الفلسفة في جامعة تل أبيب، ونشر العديد من المقالات الصحفية في مختلف الجرائد العبرية وخاصة هآرتس. من أهم أعماله "התרסקות" "تحطم" عام 1990 انظر:

<http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon>

٢ ساسون سوميخ: ( 1933 - ) حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة إكسفورد، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة تل أبيب، وحائز على جائزة إسرائيل في الاستشراق لعام 2005. انظر: ساسون سوميخ: لغة القصة في أدب يوسف إدريس - مطبعة السروجي - عكا - 1984

٣ نوعاً يارون-ديان: ( 1972 - ) عملت في السابق في الإذاعة والتلفزيون، وبعد ذلك تعمقت في الدين الأمر الذي جعلها تترك عالم الإعلام العلماني واختفت عن الأنظار، وفي عام 2007 صدرت قصتها "מקימי" "مكيمي". انظر:

<http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/>

٤ שם، שם

٥ צרפתי، יובל: אוטוביוגרפיה ספרותית - מערכת גפן - 4 - 6 - 2010

الذاتية אוטוביוגרפיה لم يدخل إلى اللغة حتى نهاية القرن الثامن عشر. وترجع أسباب ازدهار هذا التيار إلى بعض الظواهر التاريخية المميزة لهذه الحقبة وهي: أولاً: نشوب الثورة الفرنسية والأمريكية وظهور الأفكار الديمقراطية، والتي وضعت الفرد في مكان الصدارة من الناحية الثقافية والسياسية. ثانياً: النظرة الرومانسية التي نادى بالذاتية وتميزت كذلك بمحاولة محاكاة المصدر والجذور. كل هذا جعل المبدعون يصورون حياتهم من البداية، ويجدوا مغزى في سنوات حياتهم الأولى.

### رواية "בציפורני הגורל" "بين مخالب القدر" للأديبة رحيل سيدوف مزراحي<sup>١</sup> دراسة تحليلية

עייין:

<http://www.gfn.co.il/index>.

١ رحيل سيدوف مزراحي: ولدت بالقدس عام 1938، وقضت طفولتها في مستوطنة كركور التي تأسست عام 1913 وكان يقطنها يهود روسيا وتقع في إقليم حيفا. وتعلمت في المدرسة الدينية " כפר פינס " "كفر بيناس" ودرست التمريض في مستشفى شعر منشي ومستشفى هداسا في القدس. ثم درست الأدب في الجامعة العبرية. ونشرت دواوينها الشعرية في منابر مختلفة.

(עייין: לקסיקון הסופרים העברים בהווה בעריכת ד"ר משה גרנות)

<http://www.hebrew-writers.org/>

وتتحدث عن نفسها وتقول أنها ولدت لأسرة من أماكن مختلفة، وتربت في أسرة ذات أبناء كثيرين. وانتقلت في السابعة من عمرها مع والديها وأخيها لمستوطنة كركور، وتعلمت في المدرسة الدينية " כפר פינס " ثم درست التمريض في مدرسة الممرضات في مستشفى " شعر منشي ". وعملت في عيادات التأمين الصحي في مستوطنة رحوفوت، و"نيس لتسيون" و"ريشون". وفي تلك الفترة تزوجت وأنجبت بنتاً تدعى "نافيه" وولداً يدعى "دور".

صدرت رواية " بين مخالب القدر " في طبعتين، الطبعة الأولى عام 2003 عن دار النشر "עצמית" "عتسميت"، وكانت الطبعة الثانية عن دار النشر " בת אור " "بت أور" عام 2009. وتقع في أربعمئة وثلاث وخمسين صفحة من القطع المتوسط، واحتوت على اثني عشر فصلاً. وتعتمد الدراسة على الطبعة الثانية الصادرة عام 2009.

وبعد حوالي سبع سنوات طلقت وعادت إلى والديها الذين انتقلا للعيش في القدس، حيث أكملت دراستها وحصلت على شهادة للعمل في مستشفى "هداسا" بالقدس. وعملت كممرضة معتمدة في الخدمة العامة في مستوطنة "بيت هكيرم"، وبعد ذلك درست الأدب في الجامعة العبرية في "جفعات رام". وفي إطار عملها كممرضة حصلت على جائزة وزيرة الصحة عن التطوع وخدمة كبار السن.

بعد ذلك تزوجت للمرة الثانية من زوجها الحالي شلومو مزراحي وأنجبت ابنتها "نافيه"، من زوجها الأول، وزوجها ماركي حفيدين هما: "بن" و "أوري"، وأنجب ابنها: درور وزوجته ملكا ثلاثة أحفاد هم: شير - شني - نوعم.

صدر لها حتى الآن خمسة أعمال:

١ قصص الأطفال: " حרוזי התנ"ך " أشعار العهد القديم" عن دار النشر " אחווה "أحفا" عام 1989

٢ ثيوان " חורפים ושמשות " شتاء وشمس" عن دار النشر " אחווה "أحفا" 1992

٣ - בקסמי הג'ונגל המסתורי " في سحر الغابة الخفية. عن دار النشر " אריאל " أريئيل" عام 1993

٤ رواية " בצ'פורני הגורל " بين مخالب القدر" عن دار النشر " עצמית " عتسميت " عام 2003

٥ ثيوان " בשחר היקיצות " في فجر الاستيقاظ" عن دار النشر " עצמית " عتسميت " عام 2008

انظر:

<http://www.ani.org.il/>

### مضمون الرواية:

تصور الرواية حياة أسرة "سيدوف" المتشعبة، التي كانت تتمنى الوصول إلى القدس. وتوثق لتاريخ حياة اليهود خارج فلسطين في بلاد القوقاز، وتركيا، ولبنان، وسوريا، وفلسطين في عشرينيات القرن العشرين. وتستعرض الحوادث التي مر بها اليهود. فتبدأ باستعراض تاريخ عائلة "سيدوف" في روسيا من خلال الجد "شموئيل سيدوف" الذي كان رجلاً عسكرياً ومحبباً من رؤسائه، إلا أنه بسبب الوشاية، تحولت حياته إلى جحيم، وتلقى تحذيرات بأنه سيصيبه الأذى، وتغير القيصر وأصبحت حياته وحياة عائلته في خطر. فجمع أهله، وباع أملاكه في سرية وخرج في رحلة طويلة لكي يجسد حلم حياته بالوصول إلى القدس. وأرسل اثنين من أبنائه بشكل مباشر في هجرة غير شرعية إلى القدس، وبعد رحلات وترحال شاقة وصلوا إلى بلاد غير مأهولة كانت تحت حكم الأتراك.

وقطع شموئيل وأفراد أسرته مسافات طويلة في الشتاء حتى وصلوا إلى تركيا، حيث أدركته الوفاة، وكان قبل وفاته قد طلب من أولاده ألا ينسوا وصيته بالوصول، بأي شكل وبأي ثمن، إلى القدس.

وبعد عناء ومشقة كبيرة مر بها كل أفراد العائلة تحققت أمنيته. ولم تؤثر المشقة التي مر بها أفراد العائلة في سبيل تحقيق الحلم المنشود. وبعيداً عن المعاناة والمشقة التي مر بها أحفاد الأسرة كان هناك إيمان وأمل وحب. هذه الأمور الثلاثة احتضنت أفراد العائلة الذين علموا أولادهم القيم مثل احترام الآباء، وكرامة الإنسان، وكرامة المخلوقات، واستبسلوا في حروب من أجل الوصول في النهاية إلى تجسيد حلمهم. وذلك كما صورت الكاتبة في سيرتها.

بعد ذلك صورت الرواية حياة أسرتين يهوديتين، تنتميان إلى "شموئيل مزراحي"، تقاطعت طرقهم. وهما والد الأدبية "بنيامين سيدوف" حفيد "شموئيل" الراحل، الذي قدم إلى فلسطين بصحبة أمه وابن أخيه، بعد أن ذاقوا الجوع والعطش وانعدام الأمن حتى وصلوا إلى فلسطين.

والأسرة الثانية هي أسرة والدة الأدبية "سارة" يتيمة الأب الذي مات من جراء وباء أتى تقريباً على جميع أفراد عائلتها، وتربت سارة وكبرت يتيمة، وكانت فتاة حسنة ومدلة ولكنها تزوجت من شرير. وعانت سارة معاناة نفسية قاسية جداً وهاجرت إلى فلسطين وبعد سبع سنوات من زواجها حصلت على الطلاق، وبعد مرور وقتاً ليس طويلاً تزوجت من "بنيامين سيدوف" وبذلك ارتبطت العائلتان من جديد.

ويرى بعض الكتاب أن هذه الرواية جديرة بأن تكون ضمن المنهج الدراسي لطلبة المدارس ضمن مقرر تاريخ إسرائيل والأدب العبري. حتى يستخلص منها التلاميذ معلومات غنية وضخمة عن بداية الاستيطان اليهودي في فلسطين، وعن العمل العبري وعن الأدب الشعبي وعن العادات المختلفة التي تشكل صورة وشخصية مجتمع يتشكل، فهي قصة يجب أن تكون في كل بيت.<sup>١</sup>

وبعد عرض مضمون الرواية، نجد أن الشيء اللافت للنظر هو أن أول ذكر لاسم الأدبية لم يرد إلا في صفحة 259 عند ولادتها:

בערב שבועות החלו הצירים. באותו בוקר היה עוצר בעיר ולא נמצא רכב כדי לקחת אותה לבית חולים. מיילדת אחת הייתה שם וקראו לה 'דייה מסרייה', בנימין מיהר לקרוא לה, הם הוציאו את המשפחה מהבית ושרה כרעה ללדת.

١ מליק-שירן, יהודית: בציפורני הגורל/ רחל סידוף-מזרחי - עיין :

<http://www.e-mago.co.il/Editor/literature-1775.htm>



"בת!" אמרה 'דייה מסרייה'. הידיעה נמסרה מפה לאוזן. לפתע נשמעו מחיאות כפיים רבות. כל המשפחה עמדה במתח כדי לדעת אם סבתא רחל צדקה וכששמעו את הבשורה לא יכלו להתאפק.  
"אכן חמותי עמדה בדיבורה ושבה אלי לצמיתות", אמרה שרה בשמחה. "ברוכה הבאה אל ביתך, רחל, כעת אוכל לפנקך כפל כפליים", אמרה שרה, וכך התייחסו לתינוקת הקטנה. אחיו של בנימין קראו לרחל ימא. מיום לידתה התרגלה רחל לכינוי "אמי". גם הנכדות הבוגרות, אשר הכירו את סבתא רחל, קראו לרחל התינוקת "סבתא". הכינוי אמי, או סבתא, מעולם לא היה מוזר לרחל.<sup>1</sup>

في عشية عيد الأسابيع بدأت آلام الوضع. وفي ذلك الصباح كان هناك حظر تجول في المدينة ولا توجد حافلات تنقلها إلى المستشفى. وكانت هناك قابلة أطلقوا عليها 'داية مصرية'، أسرع بنيامين في استدعائها، وأخرجوا العائلة من البيت وسارة جاءها المخاض لتلد.

قالت 'داية مصرية' "بنت!". وانتقل النبا همساً. وسُمع فجأة تصفيقاً كبيراً. فقد انتاب العائلة كلها التوتر لكي تعرف هل كانت الجدة رحيل صادقة وعندما سمعوا البشرى لم يستطيعوا تمالك أنفسهم.

وقالت سارة وهي سعيدة "بالفعل فإن حماتي وفت بوعدا وعادت إلى إلى الأبد، عوداً حميداً إلى بيتك، يا رحيل، أستطيع الآن أن أدلك أضعافاً مضاعفة، وبهذه الطريقة تعاملوا مع الطفلة الصغيرة. فقد كان أخوة بنيامين ينادونها "يا أمي".

١ سيידוף-مזרחי، רחל: בציפורני הגורל - הוצ' בת אור - תל אביב - הדפסה שניה

منذ ولادتها تعودت رحيل على لقب "أمي". وحتى الحفيدات الكبار، اللاتي كن يعرفن الجدة رحيل، أطلقوا على رحيل الطفلة "جدة". ولقب أمي، أو جدتي، لم يكن غريباً أبداً على رحيل.

إن أغلب كتاب السيرة الذاتية يهتمون اهتماماً خاصاً بالإشارة إلى حدث الولادة. ولا شك أن لا أحد منهم شاهد الحدث ولكنهم يصفونه وصفاً يبرز ذاتاً متلفظة واعية بقيمتها وبعلو شأنها. 'وكل كاتب يصور هذا الحدث بالطريقة التي تخدم نرجسيته.

و بدون صعوبة يمكن أن نقسم الرواية إلى جزأين واضحين وهما:  
١ من ص 1 حتى ص 258 متابعة جذور عائلة رحيل سيدوف مزراحي من ناحية جيل الأجداد. وقصة حياة أبيها وأمها قبل هجرتهم إلى فلسطين ثم حياتهم في البلاد. وفي بؤرة هذا الجزء نجد موضوع حنين اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين.

٢ من ص 259 حتى ص 453 (نهاية الرواية) السيرة الذاتية للأدبية رحيل سيدوف مزراحي. والحديث عن البيئة التي قضت فيها طفولتها وصباها، وحياتها في فلسطين وقصة زواجها الأول والثاني. وجزء تاريخي يفصل الأحداث في نهاية فترة الانتداب البريطاني، وتوقع نتائج قرار جمعية الأمم المتحدة بإقامة الدولة والمخاوف في القدس، وفي الاستيطان مما هو متوقع بعد أن صدقت الأمم المتحدة على إقامة الدولة، والحديث عن حرب 1948 وكذلك حرب 1956، وحرب 1967.

<sup>١</sup> الباردي محمد: عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق 2005 - ص 56

### العناصر التي تحدد هوية النص:

هناك عناصر محددة نستطيع من خلالها التعرف على طبيعة النص الذي أمامنا، هل هو سيرة ذاتية أم لا. فمن مكونات السيرة الذاتية أن يكون هناك تطابقاً بين المؤلف والراوي والشخصية؛ وهذا التطابق واضح بين المؤلف رحيل سيدوف مزراحي وبين الراوي الذي هو نفسه المؤلف وبين الشخصية الرئيسة في العمل، والتي هي المؤلف كذلك، وذلك اعتماداً على تحليل هذا العمل. ومن تلك العناصر المساعدة على تحديد هوية النص:

١ أننا نستطيع أن نحدد مقصدية الكاتب من خلال العثور على أية عبارة أو مقطع في النص يصرح فيه الكاتب لقارئه بأنه يقوم - لسبب أو لآخر - بكتابة قصة حياته، وبذلك يتأكد عقد السيرة الذاتية بين الكاتب والقارئ. ومن الأمثلة على هذه المقاطع الموجودة في العمل الذي بين أيدينا تصريح الكاتبة بأن:

כל אשר מסופר כאן לוקט במשך עשרות שנים מפי זקני המשפחה, שאת חלקם הם שמעו מפי הוריהם. את הרוב סיפרו לי הוריי, מאבי סיידוף בניימין ואמי שרה ז"ל, אשר חוו על בשרם את החוויות הקשות, המתוארות בספר. על מוצאה של המשפחה, נמצאת ברשותי עדות מוקלטות מפי מספר זקנים מהמשפחה, כולל אבי ז"ל, שהוקלטה על ידי עוזי ושלום סיידוף בנוי של דוד. חלק מהסיפורים לוקטו מעוזי סיידוף, ממרדכי סיידוף מנס הרים, מיואב נכדה של דודתי שרינה, אשר הביא לי מסמכים מקוריים מכפר אוריה ומפי רבים אחרים.

בסיפורי הילדות נעזרתי באחיי יצחק, ירמי, יפה, וסעדה ומזיכרונותי.<sup>1</sup>  
كل ما رُوي هنا جُمع على مدى عشرات السنين من شيوخ العائلة، الذين سمعوا جزءاً منها (هذه الحكايات. الباحث) من آبائهم. ومعظمها قصها لي

١ سيّدوف-مزرّاحي، رحل: شمس، عم' 453 سوفّ السّيفور

والداي، أبي سيدوف بنيامين وأمي سارة طيب الله ثراهم، الذين عاشوا تجارب صعبة، مصورة في الكتاب.

وبالنسبة لأصل العائلة، يوجد تحت حوزتي شهادات مجمعة من عدد من شيوخ العائلة، بما فيهم أبي رحمه الله، التي جمعها عوزي وشالوم أبناء العم. وبعض القصص جمعت من عوزي سيدوف، ومن مردخاي سيدوف من نيس هاريم<sup>١</sup>، ومن يوباب حفيد عمتي شرينا، الذي أحضر إليّ مستندات أصلية من كفر أوريا<sup>٢</sup> ومن كثيرين آخرين. وبالنسبة لقصص الطفولة فقد استعنتُ بإخوتي اسحق ويرمي ويافيه وسعاداه وكذلك بذكرياتتي.

يتبين من الفقرة السابقة أن الكاتبة تريد أن تصرح للقارئ بأنها تكتب قصة حياتها. وذلك من خلال الأسماء الواردة في النص، فقد صرحت باسم والدها: سيدوف، واسم أمها: سارة، وكذلك بأسماء أخواتها وإخوتها. حيث أن طبيعة الميثاق السير ذاتي أنه يعتمد على هوية الأسماء الواردة في النص. من هنا

---

١ نيس هاريم: مستوطنة تقع بين القدس وبيت شمش، ، يسكنها مهاجرون من كردستان، تأسست عام 1950 ، على أنقاض القرية العربية بيت عيطاف التي تركها أهلها في حرب 1948 ولم يسمح لهم بالعودة إليها ثانية. انظر:

<http://he.wikipedia.org/wiki/>

٢ كفر أوريا: مستوطنة تقع في غور يهودا ( على امتداد البحر المتوسط) بجوار مدينة بيت شمش، ومنذ عام 1913 بدأ المهاجرون الجدد في الإقامة فيها، ولكن في عام 1949 أقيمت المستوطنة من جديد. انظر:

<http://he.wikipedia.org/wiki/>

تتوثق العلاقة بين الكاتبة، والراوي، والشخصية الرئيسية وتتحد هويتهم في اسم المؤلفة: رحيل سيدوف، الذي يظهر على غلاف الكتاب. وهذه الهوية المتحدة هي التي تخلق الميثاق السير ذاتي بين القارئ والمؤلف.

2-دوافع كتابة السيرة: بخصوص دوافع كتابة السيرة الذاتية، تجدر الإشارة إلى أن الكاتب حين يكتب سيرته لا يكتبها هكذا عشوائياً، وإنما هناك من الدوافع والأسباب الكثير. التي تدفعه دفعا إلى الترجمة لحياته، وتدوين أحداثها ومواقفها. والأسباب تختلف من كاتب إلى آخر، فكل كاتب دافعه الخاص. "وتشترك دوافع عديدة في كتابة السيرة الذاتية، وقلما يكون وراءها دافع واحد فقط، ولكن من الممكن أن نحدد الدافع الرئيسي بين هذه الدوافع؛ فقد تكون من قبيل الاعترافات، ويكون الدافع الرئيسي وراءها هو تخفيف عبء الشعور بالذنب الذي يتقل كاهل صاحبها."<sup>١</sup>

وقد تكون من قبيل الدفاع الذي يحاول فيه الكاتب أن يصرح بمسار حياته ويبرره، أو يبرر عملاً خاصاً يقوم به من أجلها. "وقد يهدف الكاتب من وراء كتابة سيرته إلى أن يقدم للنشء نموذجاً يتعلمون منه ويأخذون منه العبرة والعظة، حين يكون فيها من المواقف والأزمات ما يفيد."<sup>٢</sup>

ومن هذه الدوافع التي جعلت الكاتبة تكتب سيرتها الذاتية، أنها صرحت في لقاء صحفي: "بأن فكرة كتابة سيرة حياة الأسرة ولدت بداخلي، لأنني رأيت أن

---

١ شرف، عبد العزيز: أدب السيرة الذاتية - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - مكتبة لبنان - الطبعة الأولى 1992 - ص 45

٢ الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد: فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي - دار السعادة للطباعة - القاهرة - الطبعة الأولى 1996 - ص 151

هناك أموراً كثيرة وخفية وراء اسم العائلة، ووراء القصص الغريبة والعجيبة، التي كان يُحكى جزء صغير منها من خلال سحب الدموع التي تنهمر من عين أُمي ودائماً كنت أريد أن أعرف أسرار القصص كلها. وما هو الشيء المختفي داخل كل هذا الحزن، ومن المؤسف أنني لم أفعل ذلك من قبل. "وتضيف الكاتبة قائلة، وهي تسوق الدوافع التي كانت وراء هذا العمل: "إن قصتي هذه رسالة للبنات المتمرديات واللاتي يفعلن كل ما يخطر ببالهن ولا يسمعن لآبائهن."<sup>١</sup>

يتضح مما قالته الكاتبة أنها دونت سيرتها لتقدم من خلالها نموذجاً للنساء يتعلمون منه ويأخذون منه العظة والعبرة، وكذلك يتضح دافع الشهادة من وراء كتابة هذه السيرة، فقد أرادت الكاتبة أن تستجيب لرغبة بداخلها لتدوين تاريخ حياة أسرتها، حتى لا يزول هذا التاريخ بزوالهم.

٣ ذكر الممارسات الاجتماعية. ومن العناصر التي تحدد هوية النص الذي بين أيدينا، أن العمل يحتوي على ذكر الممارسات الاجتماعية الخاصة بالكاتبة، واقصد هنا وظيفتها. فقد أشرنا سالفاً، أثناء الحديث عن المهنة الأصلية للكاتبة، أنها تعمل ممرضة. وتشير الكاتبة، داخل العمل، إلى دراستها للتدريس:

رحל לא שמעה את כל אשר קרה להוריה. היא לא כתבה מכתבים  
הביתה מתוך מחאה ואף לא קיבלה מהם. לאחר כשנה מאז הגיעה  
לכרכור, קראה בעיתון שמתחילים מספר קורסים לאחיות: ב"שער  
מנשה", ב"תל השומר" וב"שערי צדק". מיד התיישבה וכתבה מכתבים  
לשלושת המקומות, כי אם לא תתקבל באחד מהם, יהיה לה סיכוי בשני.

١ מליק-שירן, יהודית: בציפורני הגורל, שם

בכולם היו התשובות חיוביות. הבחירה שלה הייתה שער מנשה, עקב קרבתו אל אחותה יפה.<sup>1</sup>

لم تسمع رحيل عن كل ما حدث لوالديها. فهي لم تكتب خطابات إلى المنزل احتجاجاً كما لم تتلق منهم خطابات. وبعد حوالي عام من وصولها إلى كركور، قرأت في الصحيفة أنهم يبدأون عدداً من الدورات للممرضات: في "شعر منشي"، وفي "تل هشومير"، وفي "شعري تسيدق". على الفور جلست وكتبت خطابات إلى الأماكن الثلاثة، فإذا لم تُقبل في مكان ما، يكون لديها إمكانية في المكان الثاني. وكانت الردود كلها إيجابية. فكان اختيارها هو "شعر منشي"، بسبب قربها من أختها يافيه.

وتشير الكاتبة، في مواضع أخرى، كثيرة، إلى عملها كممرضة، مثل: خודשים מספר עבדה רחל ב"שער מנשה". היא שאפה לעבוד במרפאה, לכן ביקשה ממנהלת בית החולים לשחרר אותה מהעבודה בבית החולים בטענה שהיא רוצה לשוב לירושלים אל הוריה. אך לבית הוריה עדיין חששה לשוב שמא כל דבר שתעשה יתפרש בעיני אביה לא תקין. היא פנתה לקופ"ח במחוז רחובות והתקבלה מיד לעבודה במרפאה.<sup>2</sup>

عملت رحيل بضعة شهور في "شعر منشي". فقد تطلعت إلى العمل في العيادة، لذلك طلبت من مديرة المستشفى أن تعفيها من العمل في المستشفى بزعم أنها تريد العودة إلى القدس حيث والديها. ولكنها كانت لا تزال تخشى العودة إلى بيت والديها فربما يُفسر أي تصرف تفعله في نظر أبيها على أنه

١ سيידוף-مזרחي، رحل: שם، עמ' 322

٢ שם، שם، עמ' 329

تصرف غير سوي. فتوجهت إلى التأمين الصحي في مديرية رحوفوت واستلمت على الفور العمل في العيادة.

ومن خلال ذكر هذه الممارسات الاجتماعية مثل مسكنها في مستوطنة "كركور"، كما ورد في الاقتباس، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك أثناء الحديث عن حياة الكاتبة، وكذلك الإشارة إلى عملها كمرمضة. حيث نجد أن الأحداث تركز بشكل واضح على عمل رحيل كمرمضة وبراعتها في التمريض، هذه البراعة التي أكسبتها سمعة طيبة بين المترددين على العيادة، لدرجة حصولها على جائزة في التمريض. وبهذا يصبح من اليسير على القارئ أن يحكم على أن هذا العمل المائل بين يديه أنه سيرة ذاتية.

مما سبق يمكن القول أن رواية "بين مخالب القدر" تضمنت العناصر الفنية لرواية السيرة الذاتية، فقد تضمنت أسماء حقيقية للكاتبة وأسرتها. كما أشارت الكاتبة إلى المهنة التي عملت بها ومكان سكنها، وأخيراً الدوافع التي حملت الكاتبة إلى تدوين سيرة حياتها.

العناصر الفنية لرواية السيرة الذاتية من خلال رواية "בציפורני הגורל"  
"بين مخالب القدر"

نحاول الآن تلمس الخطوات التي اتخذتها الكاتبة من خلال توظيف الشكل، بما يحتوي عليه من جوانب فنية مختلفة، يجب أن تتوافر في السيرة الذاتية، وذلك في خدمة المضمون من أجل تحقيق الهدف من كتابة السيرة.



وهناك بعض المقومات التي تساعد في تمييز جنس السيرة الذاتية، في سبيل تخطي بعض الصعوبات المحتملة في أثناء تحليل العمل من خلال تعريف السيرة الذي سبقت الإشارة إليه بأنها " حكي استرجاعي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته ، بصفه خاصة.<sup>١</sup> ويتضح من هذا التعريف أن موضوع السيرة الذاتية المعالج هو تاريخ شخصية معينة، شخصية واقعية معروفة في مجتمعها. بهدف إبراز تجربة فردية بين أدوار عديدة، وكيف كان للعصر والمجتمع الذي عاش فيه كاتب السيرة دور كبير في تحديد موضوعات السيرة. وتشمل المقومات الفنية للسيرة الذاتية عدة نقاط أساسية وهي:

#### ١ الميثاق السير الذاتي:

كما سبقت الإشارة إلى أن فيليب لوجون يرى أن السيرة الذاتية هي سرد نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك حينما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخه الشخصي، ويضيف أنه لكي تكون هناك سيرة ذاتية يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف والراوي والشخصية، وذلك يتحقق إما بصورة ضمنية وذلك بالتصريح الواضح أن النص سيرة ذاتية، وهذا هو الشكل الأول، أما الشكل الثاني فيتمثل في أن يتقدم الراوي بجملة التزامات للقارئ بأنه سيتصرف على أنه المؤلف، بحيث لا يترك تأكيده أي شك في أنه يحيل على المؤلف المثبت اسمه على غلاف الكتاب، أو بصورة جلية وذلك من خلال التطابق الواضح في كل شيء بين الراوي والشخصية، بما في ذلك -وهذا أهم

١ لوجون، فيليب : مرجع سبق ذكره - ص22

ركن-أن يكون الراوي هو الشخصية، وهاتان هما طريقتا التطابق، وفي الغالب يتم دمج الطريقتين معاً، وهذه البراهين تكون كافية لإبرام عقد بين القارئ والنص يثبت بأن ما يقرأه القارئ هو سيرة ذاتية، وهو ما يطلق عليه لوجون " ميثاق السيرة الذاتية".<sup>١</sup>

وبالنسبة للعمل الذي بين أيدينا ليس هناك تصريح واضح، على غلاف العمل، بأنه سيرة ذاتية، كما أن الالتزامات التي يقدمها المؤلف للقارئ بأنه سيتصرف على أنه المؤلف غير موجودة كذلك. والكاتبة، أيضاً، لم تستهل عملها بمقدمة تبين فيها أهدافها من هذا العمل، ومنهجها فيه، كعادة أصحاب السير الذاتية. وهل فعلت الكاتبة ذلك بقصد تام حتى تتيح للمتلقي هامشاً فسيحاً من الحرية في تلقي العمل ليصنفه كيفما يشاء، ويصل من خلاله إلى ما يريد بحسب ثقافته. ولكن الواقع أنه مع غياب هذه الالتزامات إلا أن هناك العديد من الإشارات التي توضح بشكل أكيد أن هذا العمل هو سيرة ذاتية، وهي استخدام المؤلفة لأحداث وشخوص وأماكن ترتبط بحياتها الشخصية؛ تمثل ظاهرة لا يمكن أن تغيب عن أي قارئ. فالكاتبة تنطلق في نصوصها من كل ما يتصل بحياتها مركزةً فيها على تاريخها الشخصي. فمن خلال التطابق بين الكاتب والراوي والشخصية؛ تكشف السيرة الذاتية عن ذاتها.

## ٢ - ضمير الغائب في السيرة

١ لوجون، فيليب : مرجع سبق ذكره - ص 24

تتسم الرواية، موضوع الدراسة، باستخدام ضمير الغائب، وليس ضمير المتكلم وهو الغالب في السير الذاتية. ومن الأمثلة على استخدام ضمير الغائب في العمل نجد:

באחד הערבים התגנבה רחל אחר אחיה ירמיהו. כאשר הביט אחורה נדהם לראותה משתרכת אחריו, הם היו כבר מרוחקים מהבית ולכן לא רצה להשאירה לבד, ללא בורה תפס בידה והכניס אותה עמו לצריף, תמורת הבטחה לשוער שייתן לו לרכב על אופניו. כמה מאושרת הייתה רחל כאשר ראתה את התמונות המופלאות.<sup>1</sup>

في إحدى الأمسيات ذهبت رحيل في خلسة وراء أخيها يرمياهو. عندما نظر وراءه مندهشاً من رؤيتها وهي تتلأأ وراءه، ولما كانا بعيدان بالفعل عن البيت لذلك لم يرد أن يتركها بمفردها، فلم يكن هناك مفر من أن يمسك بيدها وأدخلها معه إلى العريشة، مقابل وعد للحارس بأنه سيسمح له بركوب دراجته. كم كانت رحيل سعيدة عندما رأت الصور المدهشة.

في الواقع إن سبب غلبة القص بضمير المتكلم في السيرة الذاتية لما جرت عليه العادة في العصور الوسطى والحديثة بأن تكتب المذكرات بضمير المتكلم المفرد وكذلك السيرة الذاتية وذلك حين استوت شكلاً أدبياً مستقلاً.<sup>2</sup> إذن من جهة استخدام الضمير في القص لدينا تعددية في استعمال الضمائر ما بين ضمير الغائب "هو"، كما هو الحال في الرواية موضوع الدراسة، وضمير المتكلم "أنا" وضمير المخاطب "أنت". ولكن يبدو أن الأكثر استعمالاً

١ شם، שם، עמ' 268 - 269

٢ ماي، جورج: السيرة الذاتية - مرجع سبق ذكره - ص 70

في السيرة الذاتية ضمير المتكلم المفرد وهو ليس قاعدة بالضرورة وإنما هو بمثابة عُرف. "أي ليس استخدام ضمير المتكلم أو الغائب هو الذي يخلق العقد بين القارئ والمؤلف، ومن هنا فليس استخدام ضمير المتكلم أو الغائب هو الذي يحول النص إلى سيرة ذاتية."<sup>١</sup>

### ٣ عنوان الرواية "בציפורני הגורל" "بين مخالب القدر"

عنوان السيرة هو مفتاح الكاتب إلى عمله، وهو مفتاح القارئ إلى عقل كاتب السيرة وقلبه. وتتشابه عناوين السيرة إلى حد كبير، ولكن هذا التشابه لا يعني، بحال من الأحوال، أن هذا العمل بالضرورة سيرة ذاتية أو فرع من فروعها كالمذكرات أو الاعترافات أو اليوميات. كما أن هذا التشابه، بالتالي، لا يجعل أعمال السيرة التي تحملها متميزة عن عناوين الأجناس الأدبية الأخرى. "فالسيرة الذاتية لا تتداخل مع الرواية من جهة إشكاليات النوع الأدبي فقط، بل تتعدها حتى لتأخذ الرواية الكثير من العناوين التي تتشابه مع جنس السيرة أكثر من الرواية نفسها. وهذا يجعلنا نطرح سؤالاً، يبدو مهماً للغاية وهو: إلى أي حد تبدو دلالة العنوان ضرورية وذات أهمية، للإحالة إلى دائرة الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه عمل ما وخصوصاً السيرة الذاتية؟.

أن الشيء المهم، فيما يتعلق بعناوين السيرة الذاتية، هو أن عنوان السيرة يجب ألا يثير بداخل القارئ القلق حول مدى انطباق مواصفات الجنس الأدبي على هذه

---

١ دوغلاس، فدوي مالطي: العمى والسيرة الذاتية، دراسة في كتاب الأيام لطفه حسين، ترجمة لمياء محمد صالح باعشن (الرياض: عن مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض (90)، 2001) ص 112 - 113

العناوين، بل أن الأهم هو مدى اتفاق دلالة العنوان على ما بداخله، وعلى ما يقصده كاتب السيرة الذاتية.<sup>١</sup>

إننا إذا نظرنا إلى ما يعنيه مصطلح العنوان للكاتب وجدنا أنه يعني له "كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه، ويحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان - بإيجاز يناسب البداية - علامة ليست من الكتاب جعلت له؛ لكي تدل عليه."<sup>٢</sup>

لذلك كان العنوان هو العنصر البارز والمثير في كل عمل، "ولهذا لا نستغرب اعتراف العديد من المؤلفين بحيرتهم تجاه العنوان وبصعوبة اختياره. ولا نستغرب أيضا تشبيه الكثير من الباحثين العنوان برأس النص وعتبة المؤلف."<sup>٣</sup>

ودون الخوض في الكثير من المفاهيم النظرية حول أهمية العنوان في العمل الأدبي. نعود إلى عنوان الرواية موضوع البحث، ونجد أنه عنوان يهرب من جنس السيرة الذاتية. بمعنى أنه لا يمكن أن نحكم من خلاله على

١ التميمي، أمل: مرجع سبق ذكره - ص 189

٢ الجزار، محمد فكري: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1998 - ص 15

٣ الحيدري، عبد الله: وسم على أديم الزمن لعبد العزيز الخويطر: قراءة في تفاصيل البوح - علامات (مجلة نقدية تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة) الجزء 65 المجلد 17 - جمادى الأولى 1429 - مايو 2008 - ص 260

أن رواية "בציפורני הגורל" "بين مخالب القدر" هو سيرة ذاتية، كما هو الحال في بعض العناوين التي تشير بوضوح إلى أن هذا العمل هو سيرة ذاتية مثل "تاريخي بقلمي" لنبوية موسى<sup>١</sup>، و"أيام من حياتي" لزينب الغزالي<sup>٢</sup>، و"أوراق حياتي" لنوال السعداوي<sup>٣</sup>.

ونجده مكتوباً بسمك خطي يتفوق على غيره من العلامات التي تتخذ أماكنها على صفحة الغلاف الخارجية الأمامية. وتتخذ مفردات العنوان "بين مخالب القدر" خطأً أفقياً.

ويشير عنوان العمل "בציפורני הגורל" "بين مخالب القدر"، لدى القارئ، الأبعاد الثقافية والمعرفية التي يمكن أن يضيفها القارئ تبعاً لمستوى معارفه وخبراته، وهو ميثاق القراءة الأول، تقترحه علينا الكاتبة عنواناً دالاً شديد الوضوح. فكلمة "مخالب" تثير لدى المتلقي معاني البرائن والأظافر والشوك، كما ورد في لسان

---

١ نبوية موسى (1886 - 1951) أول فتاة مصرية تحصل على شهادة البكالوريا عام 1907، وأول امرأة تعمل معلمة للغة العربية، وأول ناطرة مصرية، وأول امرأة تتخذ من تعليم البنات قضية وطنية. ( انظر: التميمي، أمل: مرجع سبق ذكره - ص 41 )

٢ زينب الغزالي ( 1917 - ) انضمت في بداية حياتها إلى الاتحاد النسائي الذي كانت ترأسه هدى شعراوي، وكانت أحد عضوات مجلس إدارته البارزات، وخاضت حروباً كثيرة ضد الأزهر الذي يكافح الاتحاد النسائي. من أهم أعمالها: "نحو بعث جديد"، و"أيام من حياتي"، و"نظرات في كتاب الله". انظر: المرجع السابق ص 43

٣ نوال السعداوي ( 1930 - ) طبيبة وناقدة وكاتبة روائية مصرية ومدافعة عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة بشكل خاص، أسست جمعية تضامن المرأة العربية عام 1982، ومن أهم أعمالها: "مذكرات طبيبة"، و"أوراق حياتي"، و"مذكرات في سجن النساء". انظر: المرجع السابق ص 48

العرب: البُرْثُنُ: مِخْلَبُ الأسد، وقيل: هو للسَّبْعِ كالإصْبَعِ للإنسان، وقيل: البُرْثُنُ الكَفُّ بكمالها مع الأصابع. الليث: البراثن أظفار مَخالب الأسد، يقال: كَأَنَّ بَرَاثَنَهُ الأَشَافِي.<sup>١</sup>

وكلمة القدر كما جاء في لسان العرب تعني: "الْقَدَرُ الْقَضَاءُ الْمُؤَقَّقُ". يقال: قَدَّرَ الإله كذا تقديرًا، وإذا وافق الشيء الشيء قلت: جاءه قَدَرُهُ. ابن سيده: الْقَدَرُ وَالْقَدَرُ الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ، وهو ما يُقَدِّرُهُ الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور.<sup>٢</sup>

هكذا نجد أن المعاني المرتبطة بعنوان الرواية هي الأظافر والبراثن وهي تشير لدى المتلقي مفاهيم العنف والوحشية، كما نجد أن لفظة: القدر تشير لدى المتلقي مفاهيم التسليم والعجز أمام هذا القدر وعدم القدرة والاستسلام. ولكن ما هو الشيء الذي سكنت عنه الكاتبة ولم توضحه في العنوان وقالت أنه بين مخالب هذا القدر؟

بعد مطالعة أحداث العمل، يتضح للقارئ، بشكل جلي، أن هذا الشيء، الذي سكنت عنه الكاتبة في عنوان العمل، وقالت أنه بين مخالب القدر هو حياتها. لقد اتسمت حياة صاحبة السيرة بأنها كانت حياة تعيسة في بدايتها، فقد ذاقَت كل صنوف العذاب والهوان وذلك بعد زواجها الأول من "جوجو" الذي كانت تعطف عليه قبل زواجها، فقد كان يعمل مساعداً لها في التمريض، وكان أقل منها في التعليم والثقافة، وهو من أصل مغربي، وكان يرافقها في كل خطواتها، حتى صرح لها برغبته في الزواج منها، في البداية اندهشت من طلبه هذا وقالت له بأنها لا

١ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور: لسان العرب - مطبعة دار

المعارف - القاهرة - مادة: البُرْثُنُ، ص 243

٢ المرجع السابق - مادة: الْقَدَرُ، ص 3545

تحبه ولا ترى فيه الزوج المناسب لها. غير أنه لم يستسلم لذلك وهددها بأنها إذا لم توافق على الزواج منه فإنه سينتحر. لذا اضطرت لقبول الزواج منه وبعد الزواج مباشرة بدأ يذيقها صنوف العذاب من ضرب وعنف وإذلال، كما كان لا يقوم بواجباته كزوج من ناحية الإنفاق على المنزل وكانت له علاقاته النسائية خارج المنزل، بل وأحياناً داخل منزل الزوجية. والشيء اللافت للنظر في هذه الأحداث هو أنها نفس الأحداث التي مرت بها والدة الأديبة "سارة" لدرجة أن المتلقي يشعر بوضوح أن هذه الأحداث مكررة. فنجد أن الأم كذلك عانت أشد المعاناة من زوجها الأول "أفراهام"، معاناة بالغت الكاتبة في تصويرها، لدرجة أنها تعرضت للقتل على يديه أكثر من مرة. حتى حصلت على الطلاق منه بعد سبع سنوات من الشقاء، وهي نفس المدة التي قضتها رحيل مع زوجها الأول "جوجو" قبل أن تحصل على الطلاق منه. ونقتبس الآن من العمل ما يصور بوضوح كيف أن الابنة "رحيل" لاقت نفس مصير أمها "سارة":

"أمא שבע שנות סבל הסתיימו כרגע! נדמה לי שהיו אלה שבעים שנה. כל אשר יקרה מהיום והלאה, יתגמד ויקטן לאין ערוך, לעומת מה שעברתי עד כה. הייתי מעבר לגבול הכאב, מעבר לגבול הסבל והייסורים. אני שבה מהגיהנום בחזרה וכלום לא יפחיד אותי ולא ישפיע עלי, אמרה רחל באושר.

"שבע שנים? בדיוק אותו מספר שנים אשר סבלתי אני, מוזרים תעתועי הגורל, גם אני הרגשתי כאילו נשואה שבעים שנה ולא שבע וכאילו נולדתי מחדש כאשר התגרשתי. זאת אומרת שרחל סבלה הרבה מעבר למה שהיא סיפרה לנו, חשבה אִמָּה, מבלי לספר לרחל מאומה על עברה.

"מעניין שאותו גורל היה לשתינו, אלה הן ציפורני הגורל, אשר נתקעו בבשרנו, משום שהיינו תמימות מדי."<sup>1</sup>

1 סידוף-מזרחי, רחל: שם, עמ' 441 - 442



قالت رحيل بسعادة " لقد انتهت يا أمي سبع سنوات من المعاناة! يبدو لي أنهم سبعين عاماً. وكل ما يحدث من اليوم فصاعداً، يتقلص ويصغر بشكل لا مثيل له، في مقابل كل ما مررتُ به حتى الآن. لقد كنتُ فيما وراء حدود الألم، وفيما وراء المعاناة والعذاب. إنني عدتُ من الجحيم ولن يكون هناك أي شيء يخيفني ويؤثر عليّ،"

جال في خاطر أمها، دون أن تحكي لرحيل أي شيء عن ماضيها: "سبع سنوات؟ بالضبط نفس العدد من السنين التي عانيتُها، كم هي غريبة صروف القدر، أنا أيضاً شعرتُ كما لو أنني متزوجة منذ سبعين عاماً وليس سبع سنوات وكأني ولدتُ من جديد عندما طُلقتُ. هذا يعني أن رحيل عانت أكثر مما كانت تحكيه لنا،"

" من المثير للاهتمام أن نفس المصير كان لنا، هذه هي مخالف القدر التي غرّزت في لحمنا، لأننا كنا ساندجون أكثر من اللازم."

وتقريباً نجد أن هذا الجزء هو تكرار للمشهد الذي حصلت فيه أمها "سارة" على الطلاق، حيث تقول الكاتبة:

" أولي עוד יש לי תקווה، שהיא תגיע לכאן ותראה אותי כה מאושרת، לא עוד אומללה ומאמללת גם אותה، לו יהי! כל אשר יקרה כעת، יתגמד לעומת מה שעברתי עד כה،" חשבה כשהיא מלאה תקוות חדשות. היא הרגישה שהיא יכולה להתגבר על כל מכשול שיעמוד בדרכה...

שרה בהתה באוויר. לנגד עיניה עברו בסך שבע השנים הקשות، שברי הימים האבודים، שבהם לא זכתה בקורטוב אחד של נחת. תלאות הזמן והנעורים המבוזבזים. חיים ומוות מעורים זה בזה، ללא כל תקווה.

”האם היו אלה רק שבע ולא שבעים שנות סבלי?...“<sup>1</sup>

جال في خاطرها (سارة. الباحث) وهي مفعمة بالآمال الجديدة: "ربما لا يزال عندي أمنية أخرى، وهي أن تصل (أمي. الباحث) إلى هنا وترى كم أنا سعيدة، ولم أعد تعيسة ولا أجعلها تعيسة كذلك، مهما يكن من أمر! فكل ما يحدث الآن، يتقلص في مقابل كل ما مررتُ به حتى الآن"، وشعرت أنها تستطيع أن تتغلب على أي عقبة تصادفها...

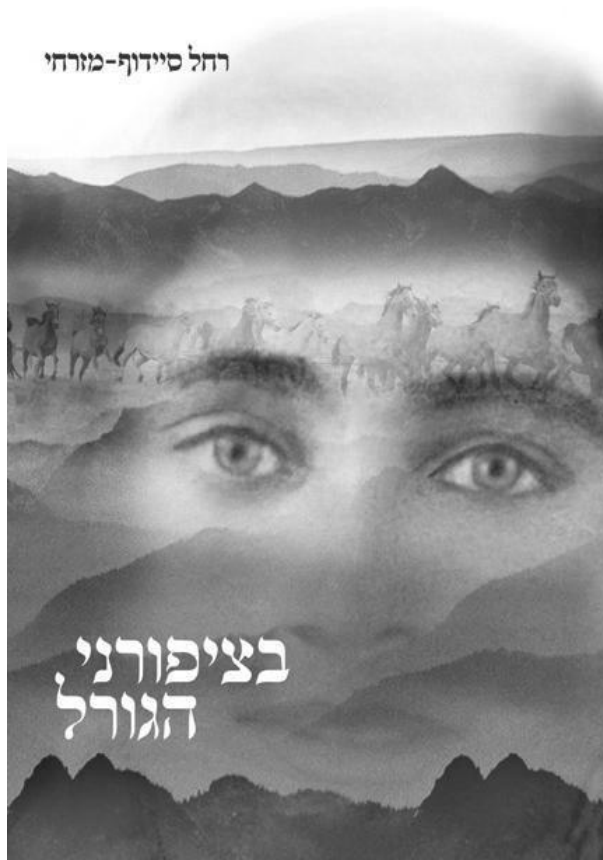
سرحت سارة بنظرها في الهواء. ومر أمام عينيها كل السنين الصعبة، وحطام الأيام الضائعة، والتي لم تحظ فيها بمسحة من الراحة. عناء الزمن والطفولة الضائعة. لقد ارتبطت الحياة بالموت، دون ثمة أمل.

"هل كانت سنوات عذابي سبع سنين فقط وليس سبعين عاماً؟..."

ويمكن هنا تفسير عنوان العمل، الذي بين أيدينا، "بين مخالب القدر"، حيث بات من الواضح أن الشيء الذي سكنت عنه الكاتبة في العنوان وقالت أنه بين مخالب القدر، هو حياتها؛ ليس حياتها وحدها بل حياة أمها كذلك، فقد لاقت هي وأمها نفس المصير. وكذلك يتضح أن الكاتبة شبهت العناء والشقاء والحرمان والقسوة والتشرد والخوف، وهي الأمور التي تعرضت لها هي وأمها في حياتهما، بالمخالب التي غُرزت في لحمهما.

### الغلاف الخارجي والإهداء

انطلاقاً من هذه القراءة التأملية للعنوان يصبح من الممكن الوقوف على خصوصية مفردات "בציפורני הגורל" بين مخالاب القدر "على صفحة الغلاف، كما هو مبين في الشكل التالي:



ففي أعلى الصفحة يلتقي القارئ بعتبة أخرى من عتبات التعاقد بين الكاتب والقارئ، إذ يتصدر الصفحة اسم المؤلفة "رحيل سيدوف-مзраحي" بخط أقل سمكاً من العنوان وبلون أسود بارز، محققاً تجانساً تشكلياً متميزاً وتواصلاً بصرياً، مع

اللون الأبيض الموجود في الخلفية، وكذلك الذي كُتب به العنوان. وذلك على لوحة الغلاف التي صممتها "حني دومبا" و"ترا ديزين". وهذه اللوحة عبارة عن صورة فوتوغرافية لوجه والدة الأدبية "سارة" ذات العينين الخضراوين<sup>١</sup>، وهي أبرز الشخصيات، التي تشير إلى موازاتها بشخصية كاتبة السيرة. إن هذه الصورة وسيلة من الوسائل التي استعانت بها الكاتبة في تشخيص الأحداث كمنشط للذاكرة، وكما صرحت بذلك الكاتبة في حديثها الصحفي مع يهوديت مليك شيران.<sup>٢</sup>

---

١ الدليل على أن هذه الصورة هي لوالدة الأدبية "سارة" موجود داخل العمل نفسه حيث قالت الكاتبة:

رحל מיהרה אל שרה، אשר רכבה על גבי סוס גזעי שנשלח להביאה، ועזרה לה לרדת. היא הביטה בה שעה ארוכה בתשומת לב. שרה השפילה את עיניה בבושה. "את באמת יפהפייה، היכן הסתרתם כל השנים הללו"، אמרה רחל. היא הביטה ברחל בכיישנות ולא ענתה. יופייה של שרה הדהים אותם. עיניה הירוקות הגדולות הסתיימו בזוג ריסים שחורים וארוכים שכיסו כמניפה על העיניים שהבריקו בברק מיוחד. (עמ' 118)

أسرعت رحيل ( والدة بنيامين زوج سارة بعد ذلك ووالد الكاتبة. الباحث) إلى سارة، التي كانت تمتطي ظهر حصان أصيل كان قد أرسل لإحضارها، وساعدتها في النزول. ونظرت إليها مدة طويلة بانتباه. غضت سارة نظرها خجلاً.

وقالت رحيل " أنت فعلاً بارعة الحسن والجمال، أين اختفيتم طوال هذه السنين،" نظرت (سارة) إلى رحيل بخجل ولم تجب. جمال سارة أدهشهم. عيناها الخضراوان الكبيرتان انتهيا برمشين سوداوان وطويلان اللذان غطيا مثل مروحة يدوية العينان اللتان تلالأتا ببريق خاص.

٢ مليك-شيران، يهوديت: بصيفورني הגורל، שם

وأمام هذه الصورة الفوتوغرافية نجد صورة على هيئة صحراء بها جبال وخيول كثيرة ويعلوها السماء.

فما الانطباع الأولي الذي سيمنحه الغلاف الأمامي للمتلقي بدء من الكتابة وانتهاء باللوحة؟ إن تصدر اسم الكاتبة لوحة الغلاف يشعر المتلقي، للوهلة الأولى، بأن هذا الكتاب سيتعرض لما حدث للكاتبة بين مخالب القدر. وإذا ما انتقلنا إلى اللوحة فيمكن أن نخرج منها بكثير من الدلالات، فهذه الصحراء وهذه الجبال والخيول إنما تشير إلى الرحلة التي قطعها أجداد الكاتبة منذ خروجهم من بلاد القوقاز ومرورهم بتركيا وسوريا ولبنان، وذلك بهدف الوصول إلى القدس، كما أثبتت الأحداث ذلك. كما نلاحظ أن ألوان اللوحة هي ألوان مترية باهتة يكسوها الغبار كما يكسو النسيان الذاكرة.

ومن هنا يمكن القول إن الغلاف الأمامي، بكل ما يحمله، يشكل بوابة مهمة لهذا النص، تفتح أمام المتلقي كثيراً من الاحتمالات وتثير سילاً من الأسئلة الحافزة على الدخول إلى عالمه.

بعد ذلك يلتقي القارئ مع العتبة الثالثة من ميثاق القراءة وهي عتبة الإهداء الذي قالت فيه الكاتبة:

הספר מוקדש לכל משפחת סיידוף ובייחוד הורי בנימין ושרה סיידוף ז"ל  
אשר ישבו עמי לילות וימים וסיפרו את סיפור חייהם, אך לא זכו לדאותו בצאתו  
לאור.

يُهدى هذا الكتاب لكل عائلة سيدوف وخاصة والداي بنيامين وسارة سيدوف  
طيب الله ثراهم الذين جلسوا معي ليالي وأياماً وحكوا قصة حياتهم، ولكنهم لم  
يحظوا برويتها منشورة.

لما كانت عملية القراءة يفترض أنها تتم بطريقة خطية من البداية إلى النهاية، وما دامت معظم المطالع والعتبات بشكل عام تقع في بدايات النصوص، كالإهداء، فإن القارئ يتأثر بها ويسري هذا التأثير على جميع مراحل القراءة، دون أن تكون هناك حركة ارتدادية إلى الوراء تؤثر على عتبات النص ذاتها كما فهمها القارئ في البداية، وهذا التصور يفرض نفسه على جميع المهتمين بعلاقة العتبات بالنصوص.

إن دلالة هذا الإهداء تبرهن بشكل يقيني على أن هذا العمل، المائل بين أيدينا، ورغم أن عنوانه هارب من جنس السيرة الذاتية، هو سيرة حياة أسرة الكاتبة كلها مع التركيز على قصة حياة أبيها وأُمها بشكل خاص.

ومن هنا فإن هذا الإهداء ينتج لدى القارئ توقعاً احتمالياً ما، بأن هذا القارئ مقبل على قراءة ترجمة لحياة أسرة سيدوف.

#### 4- نقطة الانطلاق

كل البدايات صعبة. ومعضلة البداية في السيرة الذاتية، لا تقل قيمة وخطورة عن معضلة النهاية، لأن البداية هي القاعدة الصلبة التي ترتكز عليها قصة الحياة المروية. لأنه بدون نقطة مستقرة وثابتة، ترتد إليها كل الأحداث لا يمكن الاطمئنان إلى صلابة البنية الحكائية وإلى مشروعية التسليم بالمنطق الذي يسوسها، لأن كل تغيير يلحق ثوابت البداية، يدفع مباشرة إلى مراجعة الخط الحكائي برمته ويحرض على تأويله وفق منظور جديد.

ولكن البدايات دائماً تحتوي على مناطق مجهولة عند المترجمين لذواتهم، وتمثل هذه المناطق المجهولة ثغرات وفجوات مؤرقة. فعلى سبيل المثال إذا افتتحت السيرة بالحديث عن لحظة ميلاد أصحاب السير، أو عن زمن الطفولة المبكرة، أو الحديث عن حادثة وقعت قبل مولد صاحب السيرة بفترات طويلة، وغيرها من البدايات التي لم يعاصرها أو لم يدركها أصحاب السير. "وأمام هذه الثغرات رصد أصحاب السير استراتيجيات متنوعة لتحسين قصص حيواتهم، والعمل على إيجاد الحلول الناجعة لسد هذه الثغرات والفجوات، ومن هذه الاستراتيجيات أن يعتمد الكاتب إلى سكب روايات الآخرين، وخاصة أفراد الأسرة المقربين إليه، في تلك الفراغات فدلّت هذه الإستراتيجية على أن المترجم لذاته، بل والإنسان عامة، لا يستوعب بنفسه كل تفاصيل ماضيه، فجانِب كبير منها يكون بحوزة آخرين، فتنتقل بعض هذه التفاصيل من هؤلاء إلى المعنيّ بالأمر مشافهة عبر الروايات، التي يتلقاها الفرد عن جوانب حياته المجهولة".<sup>١</sup>

وفي سيرة رحيل سيدوف، موضوع الدراسة، نجد أنها بدأتها بهذه البداية:

שיירה ארוכה ומפותלת נעה באיטיות רבה, עקב בצד אגודל. גברים נשים וטף משרכים רגליהם בשביל הקפוא והמושלג. משתלבים היטב בנוף הלבן. גופם עטוף בפרוות כבשים מכף רגל ועד הצוואר, ראשיהם עטויים בכפיות ועליהם כובעי פרווה. לרגליהם נעלי פרווה שכיסו את השוקיים וסגרו על מכנסי צמר הדוקים היטב עד לשוקיים.

הם הלכו באפיסת כוחות, לאחר לילות רבים של הליכה מפרכת, מאז העפילו אל בין קפלי ההר התלול, כדי להקשות על רודפיהם. רגליהם דשדשו בשלג הרך והטובעני עד לברכיהם הרטובות והקפואות. שולפים רגל מהגומחה העמוקה והשניה טובעת בעקבותיה. גומחה אחר גומחה, צעד אחר צעד, והדרך מתארכת

١ الطريطر، جليلة: مرجع سبق ذكره - ص 568

لלא סוף, ההתקדמות איטית ובלתי נסבלת. עקבותיהם הוטבעו בשלג הסמיך ופצעו שבילים בלובן הזך שמחתל את העצים, השיחים וכל החי והדומם הניצב על הקרקע. רק העיניים הקמות והאדומות בלטו מחוריהן, ריסיהן היו עמוסות בפתיית מלמלה לבנה וקפואה ועיניהם בלשו אחר הדרך הנמשכת ללא סוף... שמואל איש הברזל, שידע ימים טובים יותר בקרב פקודיו ואמרי פיו היו כנכסי צאן ברזל לגדודי החיילים שסרו למרותו, נס כעת על נפשו רק בשל היותו יהודי. כאשר עלה צאר חדש, נצלו אויביו את המצב והכפישו את שמו. פקודיו אשר אהבו אותו, עקב יושרו וחרייצתו, סיברו את אוזניו. מיד שלח את שני בניו הצעירים לירושלים אך הוא המתין עד יעבור זעם. בינתיים, מכר את כל נכסיו וקנה ציוד רב לשהייה ארוכה בשדה, ביגוד חם ומזון שלא מתקלקל, כגון: חיטה, קמח אורז ושמן. כמו כן, רכש מספר פרדות. כאשר שמע שאין מוצא והמצב לא נרגע, לקח את משפחתו, שני אחיו ומשפחותיהם ויצאו לדרך, הרחק מערי הקווקז בהן נולדו.<sup>1</sup>

تحركت قافلة طويلة ومتشابهة ببطء شديد، تسير على رؤوس الأصابع. رجال ونساء وأطفال تلتوي أقدامهم في الطريق المتجمدة والمليئة بالثلج. متشابكون جيداً في مشهد أبيض (من تساقط الثلوج. الباحث) جسدهم مدثر بفرو الخراف من أخصص قدمهم وحتى الرقبة، ورؤوسهم مغطاة بكوفيات عليها قبعات الفرو. وفي أرجلهم أحذية من الفرو غطت السيقان وأغلقت على بنطلونات الصوف المشدودة جيداً حتى السيقان.

ساروا بإعياء شديد، بعد ليال عديدة من السير المجهد، فقد تسلقوا بين ثنايا الجبل الشاهق، لكي يصعبوا الأمر على من يطاردونهم. تخبطت أرجلهم في الثلج الهش والموحل حتى ركبته المبللة والمتجمدة. ينتزعون قدماً من الحفرة العميقة بينما تغوص الثانية بكعب الحذاء. حفرة وراء حفرة، وخطوة وراء خطوة، وتمتد الطريق بلا نهاية، وكان التقدم بطيء وغير محتمل. غاصت كعوب أحذيتهم في

١ سידוף-מזרחי, רחל: שם, עמ' 1, התחלת הסיפור



الثلج السميك وشقوا سبلاً ناصعة البياض تلف الأشجار، والشجيرات وكل الكائنات الحية والجمادات الماثلة على الأرض. تبرز العيون الشاحصة والحمراء من مقلاتهن، وكانت رموشها محملة بفتات من الشاش الأبيض والمتجمد وعيونهم تستقصي الطريق الممتدة بلا نهاية...

شموئيل ( هو شموئيل مزراحي، الجد الأكبر للكاتبة. الباحث) الرجل الحديدي، الذي ذاق أياماً سعيدة وسط قادته وكان كلامه مثل الثروة النفيسة التي لا تقدر بثمن عند كتائب الجنود الذين انصاعوا لأوامره، فقد كان هذا بمثابة أعجوبة لكونه يهودياً. وعندما اعتلى قيصر جديد، استغل أعدائه الوضع وشوهوا سمعته. وقادته الذين أحبوه، بسبب نزاهته واجتهاده، أوضحوا له الأمر. على الفور أرسل اثنان من أبناءه الصغار إلى القدس ولكنه انتظر حتى يمر السخط. وفي تلك الأثناء، باع كل أملاكه واشترى تموين كثير بغرض المكوث الطويل في الميدان، ملابس ثقيلة وطعام لا يفسد مثل: القمح، والدقيق والأرز والسمن. وكذلك، اشترى بعض البغال. وعندما أدرك أنه لا يوجد مخرج وأن الوضع لم يهدأ، أخذ عائلته، واثنان من إخوته وعائلتهما وخرجوا إلى الطريق، بعيداً عن مدن القوقاز حيث ولدوا.

هكذا نجد أن الكاتبة قد بدأت سيرتها بالحديث عن حادثة وقعت قبل مولدها بزمان طويل، منذ جدها الأكبر. وفي تصوري أن هذه البداية تعد بداية صلبة تركز عليها قصة حياة الكاتبة كلها، وهذه البداية، المتمثلة هنا في الرحلة، هي بؤرة العمل، وتعد نقطة مستقرة تترد إليها كل الأحداث بعد ذلك. فهذه الرحلة التي قام

بها جدها "شموئيل مزراحي" هي سر وجود الكاتبة، وكل عائلتها، الآن في إسرائيل. كما أن كل الأحداث التالية ترجع لهذه الرحلة، فقد كان الهدف من وراء هذه الرحلة هو تحقيق حلم الآباء والأجداد بالذهاب إلى فلسطين. وهذا ما ترمي إليه بقية أحداث السيرة التي كانت تهدف إلى تحقيق حلم الأجداد هذا. وفي موضع آخر تتناول الكاتبة قصة مولدها، وتسميتها بهذا الاسم، (سبقت الإشارة إلى ذلك في أثناء الحديث عن بنية الرواية وهيكلها).

ولما كانت ثغرات البدايات لا تنفّش إلا على مهل، فقد استمر الكلام في الخطاب تعبيراً عن استمرار هذا العجز وامتداده. وبعد ذلك تحاول الكاتبة سد هذه الثغرة بتصريحها في ثنايا العمل:

שרה יושבה סביב מגש ענק, שפכה לתוכו קערה גדולה עם אורז וכל הילדים היו נאספים סביבה ומנקים עמה. הפרס היה מידי: האם יושבה וסיפרה להם סיפורים שאותם אהבו מאוד לשמוע. שק האורז הזה ליווה אותם עד שבועיים לפני פסח. הסיפורים סופרו בטוב טעם כמו שרק היא ידעה לספר.<sup>1</sup>

جلست سارة حول صينية ضخمة، وسكبت بداخلها قصعة كبيرة مليئة بالأرز وكان كل الأولاد يتجمعون من حولها وينظفون معها. وكانت الجائزة فورية: وهي أن الأم تجلس وتحكي لهم القصص التي يحبون جداً الاستماع إليها. وكان كيس الأرز هذا يرافقهم حتى قبل عيد الفصح بأسبوعين. وكانت القصص تحكى بذوق راق وكأنها هي فقط التي تعرف كيف تحكي.

وبهذا نجد أن الكاتبة تعتمد إلى سكب روايات الأم في تلك الفراغات، لكي تتغلب بها على الثغرات التي يلتقطها المتلقي. ومن الأمور الدالة على ذلك أيضاً

١ سידוף-מזרחי, רחל: שם, עמ' 294

تصريح الكاتبة في نهاية العمل بأن كل ما رُوِيَ هنا جُمِعَ على مدى عشرات السنين من شيوخ العائلة، الذين سمعوا جزءاً من هذه الحكايات من آبائهم. ومعظمها قصصاً لها والداها؛ سيدوف بنيامين وسارة، اللذان عاشا تجارب صعبة، مصورة في الكتاب. (كما سبقَت الإشارة إلى ذلك أثناء الحديث عن العناصر التي تحدد هوية النص).

وهكذا يستكمل النقص، ويتدارك الزمن الضائع، ويتقاطع في الوعي الذاتي التاريخ الفردي مع تاريخ الجماعة الإنسانية، المتمثلة هنا في الأسرة. وهو ما يدعو إلى الإقرار بأن صورة الماضي الفردي، تتشكل بداياتها انطلاقاً من التواصل مع الغير، ثم تأتي بعد ذلك التجارب الشخصية. وهذا واضح في العمل المائل بين أيدينا، حيث نجد أن هناك جزء كبير جداً من الأحداث وقع قبل مولد الكاتبة، وبعد ذلك تأخذ هي بزمام الأحداث بعد أن بلغت مرحلة من النضج تمكنها من ذلك. وأمام هذا الجزء الكبير من الأحداث يتساءل المتلقي من أين للكاتبة بكل هذه التفاصيل، وكيف وصلت إليها. لذا كان تصريح الكاتبة في نهاية العمل هام جداً لأنه يجيب عن هذا السؤال.

فيمكن القول إن الأحداث التي لم تعيشها الكاتبة ولم تكن شاهدة عليها لا ترويتها إلا بذكر مصدرها، أما الأحداث التي عاشتها فترويها بصفة مباشرة. لذلك تكثر في النص العبارات المنبهة مثل : (معظم الحكايات قصصاً لي والداي، وبالنسبة لقصص الطفولة فقد استعنت بإخوتي). إن مثل هذه العبارات تؤكد حرص الكاتبة

على ذكر مصادرها في رواية الأحداث، "وينبع هذا الحرص من الميثاق السير ذاتي نفسه، لأن مثل هذه الإحالات تجعل المتلقي أقرب إلى التصديق".<sup>١</sup> وتنتمي نقطة الانطلاق التي بدأت بها الكاتبة سيرتها، أي الحديث عن الرحلة التي قام بها جدها الأكبر "شموئيل مزراحي"، إلى البدايات التقليدية، هذه البدايات التي تستهل بالحديث عن الأسلاف والأهل.

#### ٥. النزعة النرجسية في السيرة:

السيرة الذاتية تفرض استرجاع الماضي بواسطة التذكر أو الذاكرة، وهذا العمل هو في الأصل اختيار: فذاكرة الكاتب لا تحتفظ إلا بالأشياء التي أثرت تأثيراً ملحوظاً وقوياً في حياته، سواء كانت مفرحة أم محزنة، حسنة كانت أم سيئة. "والأسبقية المعطاة لـ "الأنا" تأخذ في كثير من السير الذاتية نبرات الكبرياء، أو الزهو. مما يدفع الكاتب إلى الانغماس في الحديث عن مشاعره وانفعالاته، ويطلق العنان للذاكرة التي لا تلتقط إلا اللحظات المرغوب فيها عن طريق الانتقاء. والحديث عن الذات في صورتها المثالية، وليس كما هي في كل أبعادها الواقعية، الإيجابية منها والسلبية".<sup>٢</sup>

وهذه الطبيعة الانتقائية في سرد الأحداث الإيجابية في حياة الكاتب، ترتبط تماماً بمصطلح النرجسية الذي يعني "ذلك الحب الموجه إلى صورة الذات".<sup>٣</sup> وفي سيرة حياة رحيل، موضوع الدراسة، وبعد مطالعة دقيقة للأحداث يمكن أن نحكم

<sup>١</sup> الباردي محمد: مرجع سبق ذكره، ص 92

<sup>٢</sup> أولحاج، محمد: مرجع سبق ذكره - ص 80

<sup>٣</sup> طه، فرج عبد القادر: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي - دار سعاد الصباح - الكويت -

الطبعة الأولى 1993 - ص 791

بأنه لم يتم العثور على أي صفة سلبية سردها الكاتبة عن نفسها. فسيرة حياة الكاتبة، كما صورتها في هذا العمل، تضعها في صورة إيجابية مثالية، ومن الأمثلة على ذلك قول الكاتبة:

"أولي את תעשי לבתי את החורים באוזניה?" שאלה אחת הנשים.  
"אני? מעולם לא עשיתי זאת."  
"זה לא קשה תראי, אני מכניסה מחט ותכף מוציאה ומכניסה את העגיל." רחל חשבה לרגע והסכימה, כדי לחסוך דלקות ואנטיביוטיקה ללא סוף, כדאי להכניס את העגילים במרפאה ולמנוע את הדלקת.  
"אני מוכנה לעשות, אך עליכם להביא לי עגילי זהב בלבד, כי זהב לא עושה דלקות..."  
"זאת התשובה לדלקת," חשבה רחל. "מהיום ואילך לא יהיו דלקות."  
היא הודיעה לכולם כי כל מי שתמצא לשים עגילים, מוזמנת לבוא אליה חנם ובצורה שלא תעשה דלקת... כמובן שסירבה בכל תוקף לקבל תמורה עבור עבודתה הנוספת.  
"התמורה שלי היא הסיפוק, בזה שדלקות האוזניים נעלמו כליל."<sup>1</sup>  
سألت إحدى السيدات: "ربما أنتِ تعملين لابنتي الثقوب في الأذن؟"  
"أنا؟ لم أفعل ذلك مطلقاً."  
"هذا ليس صعباً أنظري، أنا أدخل إبرة وعلى الفور أخرجها وأدخل القرط."  
فكرت رحيل للحظة ووافقت، فمن أجل أن نقلل من الالتهابات والمضادات الحيوية اللا نهائية، يجب أن ندخل القروط في العيادة ونمنع الالتهاب.  
"أنا مستعدة للعمل، ولكن عليكم أن تحضروا لي قروطاً ذهبية فقط، لأن الذهب لا يسبب التهاباً..."

١ سيدוף-مזרחي، رחל: שם, עמ' 377 - 378

فكرت رحيل: " هذا هو الرد على الالتهاب، من الآن فصاعداً لن يكون هناك التهاباً."

وأعلنت للجميع بأن كل من يريد أن يضع قروطاً، فهي مدعوة للمجيء إليها مجاناً وبشكل لا يؤدي إلى التهاب... وبالطبع رفضت بشدة الحصول على مقابل من عملها الإضافي.

" مكافأتي هي الاكتفاء بأن يختفي الالتهاب تماماً."

يكشف ذلك الاقتباس تلك النزعة النرجسية، حيث يتضح الطابع الانتقائي للأحداث، فالكاتبة تبرز المواقف التي تؤكد وتشير إلى تفوقها في عملها كممرضة. وذلك باختيارها الأحداث التي تعتقد أنها باعثة على تقدمها، وفاعلة في تكوين شخصيتها ومسار حياتها. قد يرى البعض في الموقف السابق أن من المقبول أن تعبر عنه الكاتبة، ولكن عند وضع هذا الموقف مع كل المواقف الأخرى، تتضح الصورة كاملة حيث أن كل ذكر لحياة الكاتبة نجده يتميز بالعبارات التي تتضخم فيها الذات المتكلمة، صاحبة السيرة الذاتية. فهي تقبل ما لا يقبله الآخرون، وتفضل المصلحة العامة على مصلحتها الشخصية في كل تصرفاتها، حتى وإن تعارض هذا مع طبائعها الشخصية. فتميزها في عملها أصبح حديث الجميع لدرجة أن المرضى اعتقدوا أن لديها قوى سحرية:

"تודה رבה، תודה רבה, מה שעשיתי לא הצ'לחתי לעיר אותה, תגיד רחל מה עשית? איך הצלת את הילדה שלי? נשבעת לך בעיניים שלי כל מה שאמרו עלייך אמתי, יש לך ברכה מהשמים בידיים שלך," אמרה האם כשהיא מושכת את המילים המסורסות ומטעימה אותם ומנסקת את ידיה של רחל בהכרת תודה.  
"עשיתי את אשר היה עלי לעשות," אמרה רחל בשלווה להורים הדומעים מאושר.

הסיפורים על ההצלחה של רחל בהצלחת החולים פשוטו במעברה. תינוקות רבים נולדו בעזרתה וניצלו כמו התינוקות שנולדה עם חבל הטבור סבוך על צווארה ורחל הנשימה והצילה אותה. תינוק שנכנס לשוק לאחר מתן זריקת ויטמינים והיה ללא דופק וללא נשימה. רחל הצילה אותו בעיסוי לב והנשמה. באחד הערבים נקראה לתינוקת, שקראו לה על שמה כי היא אשר יילדה אותה. בבוקר נבדקה התינוקת ע"י הרופא, אך לא היו כל סימנים למצבה החמור. לעת ערב הזעיקו אותה ההורים, והילדה בת השנה הייתה אפאתית עם חום נמוך. חוסר התגובה לחיצות בכף ידיה ורגליה של התינוקת, הדליק אור אדום. מיד הזמינה רחל אמבולנס ושלחה אותה לבית החולים, בחשש לדלקת קרום המוח. האבחנה התאמתה והילדה נאבקה על חייה ימים מספר... עצם העובדה שהיא עלתה על זה, הדהימה אף את הרופא. התושבים החלו להאמין שיש כוחות מאגיים בידיה, אך רחל ביטלה הכול מכל וכול.<sup>1</sup>

قالت الأم (من أصل مغربي. الباحث) وهي تجذب الكلمات المشوهة وتشدها وتقبل يد رحيل إقراراً بالجميل: "شكراً جزيلاً، شكراً جزيلاً، ما فعلته هو أنني لم أنجح في إفاقتها، أخبريني يا رحيل ماذا صنعت؟ كيف أنقذت ابنتي؟ أقسم لك بأنني أشهد بأن كل ما قالوه عليك حقيقي، يوجد لديك بركة من السماء في يديك،"

قالت رحيل في دعة للوالدين الذين يبكون من الفرح: "صنعتُ ما يجب عليّ أن أصنعه،"

انتشرت القصص حول نجاح رحيل في إنقاذ المرضى في المساكن الوقائية (التي أقيمت في إسرائيل في أوائل قيام الدولة لاستيعاب المهاجرين الجدد. الباحث). وولد أطفال كثيرون بمساعدتها وتم إنقاذهم مثل الطفلة التي ولدت والحبل السري معقد حول رقبتها ورحيل أنقذتها عن طريق التنفس الصناعي.

والطفل الذي دخل السوق بعد أخذ حقنة فيتامينات وكان بدون نبض ولا يتنفس.  
وأنقذته رحيل عن طريق تدليك القلب والتنفس الصناعي.

وفي إحدى الأمسيات تم استدعاؤها لطفلة، كانت تسمى على اسمها لأنها  
هي التي ولّدتها. قام الطبيب بالكشف عليها في الصباح، ولكن لم تكن هناك أية  
إشارات على حالتها الخطيرة. وفي المساء استدعاها الوالدين، والطفلة ذات  
العام الواحد كانت فاترة وحرارتها منخفضة. وعدم الاستجابة للضغط على كف يد  
وقدم الطفلة، أضاء اللون الأحمر. على الفور طلبت رحيل سيارة الإسعاف  
وأرسلتها إلى المستشفى، خوفاً من التهاب غشاء المخ. وتحقق التشخيص  
وصارعت الطفلة من أجل حياتها عدة أيام... وجوهر حقيقة أنها تمكنت من ذلك  
أذهل كذلك الطبيب.

وبدأ المستوطنون يؤمنون بأن لديها قوى سحرية في يديها، ولكن رحيل  
نقضت كل هذا تماماً.

إن من الشروط الواجب توفرها في كاتب السيرة الذاتية أن تتوفر فيه صفة  
"الأمانة والصدق، حتى يكون دقيقاً في وصف حياته، وتصوير أحداثها ومواقفها  
دون مبالغة، ودون أن يصورها في صورة حسنة فحسب، أو يهتم بجانب الإشراق  
منها دون إبراز للجانب المقابل".<sup>١</sup> أي الأحداث التي يدرك أو يعتقد أنها تقدم صورة  
لا تليق به، وتمس شخصيته في نظر الآخرين، فهذه الأحداث نجده يحجم عن  
ذكرها أو يتجاوزها وينفيها.

١ الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد: مرجع سبق ذكره - ص 161



فمن الملاحظ أن طريقة بناء السرد عند رحيل سيدوف تهدف إلى تعظيم شخصيتها، فهي تصور حياتها، كمرضة، بطريقة بها كثير من المبالغة، فكل أعمالها ناجحة. كما أنها لم تصادف، في عملها، حالة واحدة لم تتجح في إنقاذها. بل والأكثر من ذلك أنها تفوقت على الأطباء في تشخيص حالات المرضى، ففي حين نجد أن الطبيب لم يتمكن من التشخيص الصحيح للمريض، نجد رحيل هي التي تتجح في ذلك، الأمر الذي ينطوي على مبالغة شديدة في تصوير سيرتها.

### الجوانب الاجتماعية في السيرة

بعد الوقوف على الجوانب الفنية المختلفة في سيرة رحيل سيدوف مزراحي، ننتقل بالحديث إلى فكرة أخرى وهي الجوانب الاجتماعية الموجودة في هذه السيرة. بما أن الكتابة - حسب بعض التصورات - تؤدي وظيفة اجتماعية، وتمثل سمات المجتمع الذي ينتمي إليه الكاتب، فإنه يحكم على الأشياء ويزنها من خلال المفاهيم الثقافية والعقدية التي اكتسبها وتحكمت في سلوكه المشبع بقانون وتقاليد النظام السائد في عصره.

لأن الأسس التي تنطلق منها أي ظاهرة إبداعية - ومنها السيرة الذاتية - مرتبطة بالوجود ومن ثم، فإن الأسس الثقافية والمكونات المعرفية التي صنعت وعي الكاتب بذاته ومحيطه، هي التي يمكن أن ننظر من خلالها في المكونات الأساسية لسيرته الذاتية، وانطلاقاً من الحقل الثقافي الذي نشأ فيه.<sup>١</sup>

---

١ أولحاج، محمد: مرجع سبق ذكره - ص 84

وبالإضافة إلى المسار الذي يتبعه الكاتب في تصوير قصة حياته هو، يهتم كذلك بالتاريخ لبيئته وعاداتها وتقاليدها. حيث يرى الدكتور إحسان عباس في كتابه "فن السيرة" أنه كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة بها فإن السيرة، في هذا الوضع، تحقق غاية تاريخية، وكلما كانت السيرة تجتزئ بالفرد، وتصله عن مجتمعه، وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى، وتتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة، فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة.<sup>1</sup>

وفي سيرة رحيل سيدوف، نجد أن الحقل الثقافي والمعرفي الخاص بوعي الكاتبة متأثر بالأيديولوجية الصهيونية بشدة. فقد اهتمت الصهيونية بالتاريخ بوصفه الآلية التي تعتمد عليها لإثبات فرضيتها المتمثلة في أن نقل اليهود إلى فلسطين من شأنه أن يضع حداً للاضطهاد. ولا تألوا الحركة الصهيونية جهداً في التركيز على اضطهاد اليهود، بل إن اضطهاد اليهود أصبح هو السمة المميزة للتاريخ اليهودي. وتؤكد رحيل في سيرتها على الكثير من الفرضيات الصهيونية التاريخية، التي مفادها أن اليهود كانوا يعانون من اضطهاد العرب والمسلمين، فتقول:

כן، מאז ומתמיד ברחו היהודים מגורלם האכזר ולא משנה אם טובים היו או רעים. מספיק שאחד מאויביהם פלט חשד בלתי סביר ככל שיהיה، כדי שהקנאים מביניהם ישתמשו בו לתועלתם וירצו להיפטר מהיהודון שנוא נפשם.<sup>2</sup>

نعم، دائماً وأبداً هرب اليهود من مصيرهم الوحشي ولا يتغير الأمر إذا كانوا طيبون أم كانوا أشراراً. يكفي أن يقذف أحد أعدائهم بتهمة غير منطقية أيا ما

١ عباس، إحسان: فن السيرة - دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان - الطبعة الخامسة -

1988 ص 11

٢ سيدوف-مزرعي، رحل: شם، עמ' 2

كانت، حتى يستخدم المتعصبون من أبنائهم هذه التهمة لمصلحتهم ويريدوا التخلص من هذا اليهودي الحقير الذي يكرهونه.

وبهذا تتفق وجهة نظر الكاتبة مع الفرضيات الصهيونية التي تؤكد على فكرة اضطهاد اليهود، وأن هذا الاضطهاد، من وجهة نظر الكاتبة، ليس له سبب منطقي، بل هو مجرد كره لليهودي لكونه يهودياً فقط بصرف النظر عما إذا كان هذا اليهودي خيراً أم شراً.

ويتسق ما ذكرته الكاتبة هنا مع ما ذكرته في موضع آخر بغرض التكتيف لفكرة اضطهاد اليهود، فتذكر:

مקרה טרגי אירע באותה שנה, כאשר נחטפה נערה יהודיה מול ביתה. הבת היפהפייה עמדה ליד ביתה, כאשר בחור ערבי ראה אותה. היא מצאה חן בעיניו והוא דהר על סוסו, חטף אותה מפתח ביתה ודהר עימה לעבר כפרו. אחיה אשר היו בשדה, שמעו את אחותם החטופה צועקת מעל גבי הסוס הדוהר. מיד דלקו אחריו ולא הרפו ממנו עד הגיעם לכפרו. שם ניגשו אל ראש הכפר והתלוננו על החוטף, אך הם לא הצליחו להתרחק מביתו. תוך זמן קצר מאוד ראו האחים את עצמם מוקפים בהמון רב וזועם, אשר עשה בהם לינץ' ללא כל רחמנות. את גופותיהם המרוטשות נשאו עד לפאתי כפרם והשליכו אותם בכניסה למען יראו וייראו, כי אם חושק ערבי באחת מהבנות, אין על זה כל עוררין. הטרגדיה הייתה כה גדולה, המשפחה שיכלה את כל ילדיה והבת היחידה שנותרה בחיים אולצה להתאסלם ולהישאר בבית בעלה הערבי. לכן חששו היהודים להגיב ואף נכנעו למר גורלם: מוטב היה לאבד את הבת מאשר לאבד אנשים נוספים.<sup>1</sup>

وقعت حادثة مأسوية في ذلك العام، عندما أختطفت فتاة يهودية أمام بيتها. البنات بارعة الجمال كانت واقفة بجوار بيتها، عندما رآها شاب عربي. وقد وجدت

١ شם، שם، עמ' 56 - 57

استحساناً في نظره، فركض على حصانه، وخطفها من أمام بيتها وركض بها ناحية قريته. إخوتها الذين كانوا في الحقل، سمعوا أختهم المخطوفة تصرخ من فوق ظهر الحصان الراكض. فعلى الفور طاردوه ولم يتركوه حتى وصلوا إلى قريته. وهناك أقبلوا على رئيس القرية وشكوا الخاطف، ولكنهم لم ينجحوا في تجنب بيته. وخلال مدة زمنية قصيرة جداً رأى الأخوة أنفسهم وهم محاطين بجمهور غفير وغاضب، الذي قام بإعدامهم دون محاكمة وبلا أية شفقة. وجثثهم الممزقة حملوها حتى أطراف قريتهم وألقوها في المدخل حتى يروا ويخافوا، وبذلك فإذا رغب عربياً إحدى البنات فهذا غير قابل للاعتراض. كانت المأساة كبيرة جداً، فقد هلك كل أولاد الأسرة والبنات الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة اضطرت إلى اعتناق الإسلام وإلى البقاء في منزل زوجها العربي. لذلك خاف اليهود من رد الفعل بل أنهم خضعوا لمصيرهم المرير وهو: فقد البنات أفضل من فقد أناس آخرين.

تؤكد الكاتبة، من خلال هذا الاستشهاد، على أن اليهود تعرضوا للكثير من الاضطهاد على أيدي العرب المسلمين، الذين لم يكن لديهم رحمة ولا شفقة في التعامل مع اليهود. ومن الطبيعي والحال كهذا فليس أمام هؤلاء اليهود، المضطهدين، من وجهة نظرهم، سوى أن يشعر اليهود بالحنين إلى فلسطين أرض الميعاد، حيث تعد فلسطين في المنظور الصهيوني هي "الأرض المقدسة"، وهي

المركز القومي والديني والروحاني لليهود.<sup>١</sup> وهذا الحنين إلى فلسطين هو من الفرضيات الصهيونية. "حيث تحتل فكرة الهجرة إلى فلسطين مكانة محورية في الفكر الصهيوني، فتسعى الحركة الصهيونية إلى تصوير فلسطين في صورة الموطن الأوحى الذي يحن اليهود إليه سواء كان هؤلاء اليهود من أصول عربية أو غربية."<sup>٢</sup>

وعند البحث عن فكرة الهجرة إلى فلسطين في سيرة رحيل سيدوف، نجد أن لها حضور كبير في هذه السيرة. حيث تمثل هذه النقطة الفكرة المحورية التي يدور حولها العمل بكامله، فقد سبقت الإشارة إلى أن نقطة انطلاق العمل تعبر عن الرحلة، رحلة آباء الكاتبة إلى فلسطين. وبقية الأحداث بعد هذه البداية تتطلع إلى هذه الهجرة، وهي الوصية التي يوصي بها الآباء، قبل موتهم، أبناءهم بضرورة الحرص على تنفيذ هذه الوصية، ويتضح هذا من خلال عدة مواضع داخل العمل منها على سبيل المثال:

"بني، منوي וגמור עמי להגיע לארץ הקדוש ירושלים, באש ובמים, בים או ביבשה, ברגל או על גבי חמורים. אנחנו נקיים את צוואתו של אבי סבך, עליו השלום, אף אם זה ידרוש את שארית חיי. אביך הבטיח לי ולא זכה, אני אמלא את בקשתו זו, על אף כל המכשולים ויחד, בעזרת השם יתברך נזכה לזה."<sup>٣</sup>

١ تلامي، أفرام ومنحם: לקסיקון ציוני - הוצ' ספריית מעריב - תל-אביב - מהדורה

שמינית - 1982 - עמ' 31

٢ الرفاعي، جمال أحمد: بين الأدب والتاريخ دراسة في سيرة "بغداد بالأمس" للناقد ساسون سوميخ - مجلة الدراسات الشرقية - العدد الثامن والثلاثون - يناير 2007 - ص 399

٣ سيدوف-مזרחي، رحل: شם، عמ' 29

" يا بني إني عاقدة العزم على الوصول إلى الأرض المقدسة القدس، في النار أو في الماء، في البحر أو في اليابسة، على الأقدام أو على ظهر الحمير. نحن سننفذ وصية أبي جدك، رحمه الله، حتى وإن تتطلب ذلك بقية حياتي. لقد وعدني أباك ولم يحظ (بسبب موته. الباحث) وأنا سأنفذ طلبه هذا، بالرغم من كل العوائق ومعاً، بمشيئة الله سنفوز بذلك.

لقد كانت الهجرة، من وجهة نظر الكاتبة، تمثل خلاصاً من العذاب الذي ذاقتة عائلتها على أيدي العرب. وبذلك نجد أن هذه السيرة تمثل تجسيداً حقيقياً للأفكار التي نادى بها الأيديولوجية الصهيونية، وبذلك أيضاً يمكن أن نفهم مغزى ما قاله بعض النقاد الإسرائيليين<sup>١</sup> عن هذه السيرة من أنها حري بها أن تكون موجودة في كل بيت يهودي أو أن تكون ضمن المقرر الدراسي الخاص بمنهج تاريخ شعب إسرائيل من بداية الاستيطان في فلسطين، والعمل الطليعي. لقد غردت رحيل سيدوف داخل سرب الأيديولوجية الصهيونية ولم تشذ عنه، فكانت بوقاً لهذه الأفكار الصهيونية.

وبذلك اتخذت رحيل سيدوف من تاريخها الشخصي وحياتها مبرراً للحديث عن المجتمع اليهودي كله وعن الواقع والتاريخ والأيديولوجية السائدة، باعتبارها تشكل مكونات الحقل الثقافي الذي نشأت فيه. فالخطاب السير ذاتي هو تصوير للواقع بقدر ما هو تصوير إرادي، ويستمد عناصر الكتابة، والتي تشمل اللغة والشكل والمضمون، من الشروط الاجتماعية والأيديولوجية المحيطة به.

١ مليك-شيرن، יהודית: שם

ومهما حاول كاتب السيرة الالتزام بما يمس حياته الشخصية مباشرة، فإنه يجد نفسه معبراً بطريقة أو بأخرى عن معطيات محيطه البيئي، فيعرف بهويته وخصوصية واقعه من منظوره الخاص.

### الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- من خلال دراسة السيرة الذاتية في الأدب العبري المعاصر يمكن القول إن هذا الجنس الأدبي لم يكن مجهولاً بشكل تام، فقد عُرف كجنس أدبي منذ فترة العهد القديم، كما أوضحت الدراسة، من خلال سفر نحemia.
- ظهر تيار السيرة الذاتية بشكل أساسي ومميز في الأدب العبري المعاصر، خلال العقدين الأخيرين.
- اتفق نقاد الأدب العبري مع نقاد الأدب الغربي حول تحديد مفهوم السيرة الذاتية وعناصرها.
- يرى مؤرخو الأدب العبري المعاصر أن كتابة السيرة الذاتية نابعة من التقاليد الفلسفية الخاصة بالعالم الغربي.
- تشابه تيار السيرة الذاتية مع أجناس أخرى كاليوميات والمذكرات والرسائل والشهادات.

- اعتراف العديد من المؤلفين بحيرتهم تجاه العنوان وبصعوبة اختياره. وتشبيه الكثير من الباحثين العنوان برأس النص وعتبة المؤلف.
- يشكل الغلاف الأمامي للعمل، بكل ما يحمله، بوابة مهمة للنص، تفتح أمام المتلقي كثيراً من الاحتمالات وتثير سילاً من الأسئلة الحافزة على الدخول إلى عالمه.
- تهدف طريقة بناء السرد عند رحيل سيدوف مزراحي في سيرتها، " بين مخالب القدر"، إلى تعظيم شخصيتها.
- تؤدي الكتابة وظيفة اجتماعية، وتمثل سمات المجتمع الذي ينتمي إليه الكاتب.
- تعبر سيرة رحيل سيدوف مزراحي بوضوح عن فرضيات الأيديولوجية الصهيونية المتمثلة في الاضطهاد اليهودي وكذلك الحنين إلى فلسطين.



### -قائمة المراجع:

#### -أولا: باللغة العربية:

- ١ إدلبي، بهيجة مصري و الدبك، عامر: السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي -مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - عمان - الطبعة الأولى 2011
- ٢ أولحاج، محمد: بيداغوجيا تحليل الخطاب، السيرة الذاتية المكونات والروافد\_ مكتبة السلام الجديدة - الدار البيضاء - الطبعة الأولى 2006
- ٣ الباردي محمد: عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق 2005
- ٤ التميمي، أمل: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب الطبعة الأولى 2005
- ٥ الجزار، محمد فكري: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1998

- ٦ - الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد: فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي - دار السعادة للطباعة - القاهرة - الطبعة الأولى 1996
- ٧ - الحديدي، عبد الله: رسم على أديم الزمن لعبد العزيز الخويطر: قراءة في تفاصيل البوح - علامات (مجلة نقدية تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة) الجزء 65 المجلد 17 - جمادى الأولى 1429 - مايو 2008
- ٨ - دوغلاس، فدوي مالطي: العمى والسيرة الذاتية، دراسة في كتاب الأيام لطف حسين، ترجمة لمياء محمد صالح باعشن (الرياض: عن مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض (90)، 2001)
- ٩ - الرفاعي، جمال أحمد: بين الأدب والتاريخ دراسة في سيرة " بغداد بالأمس" للناقد ساسون سوميخ - مجلة الدراسات الشرقية - العدد الثامن والثلاثون - يناير 2007
- ١٠ - سالم، نجلاء رافت والشاذلي، جمال عبد السميع: الشعر العبري الحديث مراحل وقضاياها - الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة 2010
- ١١ - سوميخ، ساسون : لغة القصة في أدب يوسف إدريس - مطبعة السروجي عكا - 1984
- ١٢ - شاكيد، جرشون: الأدب النثري العبري 1880 - 1980 الجزء الأول في شرق أوروبا - ترجمة وتعليق د. إبراهيم نصر الدين عبد الجواد - مراجعة د. رشاد عبد الله الشامي - دار الكتب الجامعية للطباعة والنشر - شبين الكوم - الطبعة الأولى 2007

١٣ - الشاوي، عبد القادر: الكتابة والوجود: السيرة الذاتية في المغرب - الدار

البيضاء بيروت 2000

١٤ - شرف، عبد العزيز: أدب السيرة الذاتية - الشركة المصرية العالمية

للنشر - لونجمان - مكتبة لبنان - الطبعة الأولى 1992

١٥ - طه، فرج عبد القادر: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي - دار سعاد

الصباح - الكويت - الطبعة الأولى 1993

١٦ - عباس، إحسان: فن السيرة - دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان -

الطبعة الخامسة - 1988

١٧ - عبد السلام، سعيد: دراسة معجمية لمصطلحات الأدب عبري عربي -

القاهرة - 1997

١٨ - توجون، فيليب: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي - ترجمة وتقديم

عمر حلي، الطبعة الأولى - المغرب - المركز الثقافي العربي - 1994

١٩ - ماي، جورج: السيرة الذاتية - تعريب: محمد القاضي - عبد الله صولة -

المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة - قرطاج 1992

٢٠ - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور: لسان

العرب - مطبعة دار المعارف - القاهرة

٢١ - وهبي، فاضل: حقل المعاني عند البلاغيين المتأخرين، مجلة الفكر

العربي، ع 46 يونيو 1978. ١ لعام الثامن

### – ثانياً: باللغة العبرية:

- 1- אבן, יוסף: מילון מונחי הסיפורת – הוצ' אקדמון - ירושלים – 1978
- 2- אוכמני, עזראל: תכנים וצורות – לקסיקון מונחים ספרותיים – כרך ראשון: א – ל תל אביב: ספרית פועלים, 1978
- 3- לקסיקון הסופרים העברים בהווה בעריכת ד"ר משה גרנות  
<http://www.hebrew-writers.org/lacs-in.asp?catalogid=299>
- 4- מליק-שירן, יהודית: בציפורני הגורל/ רחל סיידוף-מזרחי – עיין :  
<http://www.e-mago.co.il/Editor/literature-1775.htm>
- 5- סיידוף-מזרחי, רחל: בציפורני הגורל – הוצ' בת אור – תל אביב – הדפסה שנייה 2009
- 6- פדיה, חביבה: ספרות במסע אחרי זהויותיה – הארץ – 7 – 1 – 2008
- 7- פדיה, חביבה: ספרות במסע אחרי זהויותיה – הארץ – 9 – 5 – 2006
- 8- צרפתי, יובל: אוטוביוגרפיה ספרותית - מערכת גפן – 4 – 6 – 2010  
[http://www.gfn.co.il/index.php?option=com\\_content&view=article&id=9037](http://www.gfn.co.il/index.php?option=com_content&view=article&id=9037)
- 9- שקד, גרשון: הסיפורת העברית 1880 - 1980, ח' ה, הוצ' הקיבוץ המאוחד, כתר, ירושלים, 1998
- 10- תלמי, אפרים ומנחם: לקסיקון ציוני – הוצ' ספריית מעריב – תל-אביב – מהדורה שמינית – 1982

### ثالثاً: شبكة المعلومات الدولية:

1- פיטר קרופוטקין - 12-10-2011

<http://he.wikipedia.org/wiki/>

5-אריאל הירשפלד – 12-11-2011

<http://he.wikipedia.org/wiki/>

6-דוב אלביום- 15-11-2011

<http://he.wikipedia.org/wiki/>

7-חיים באר – 17-11-2011

<http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/>

8- יוסי סוכרי – 18-11-2011

<http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon>

10- נועה ירון-דיין – 25-11-2011

<http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/>

11- רחל סיידוף-מזרחי – 25-11-2011

<http://www.ani.org.il/>

12- נס הרים – 30-11-2011

<http://he.wikipedia.org/wiki/>

13- כפר אוריה – 30-11-2011

<http://he.wikipedia.org/wiki/>